

AL-AFGHANI

AL-RADD 'ALA AL-DAHRIYIN

B
825
.A3212
1935
c.1



3 1142 01682 1764



GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

N. Y. U. LIBRARIES

الدر على الذهب بين

للمصلح الكبير السيد جمال الدين الأفغاني

مصدرا بترجمته رحمه الله

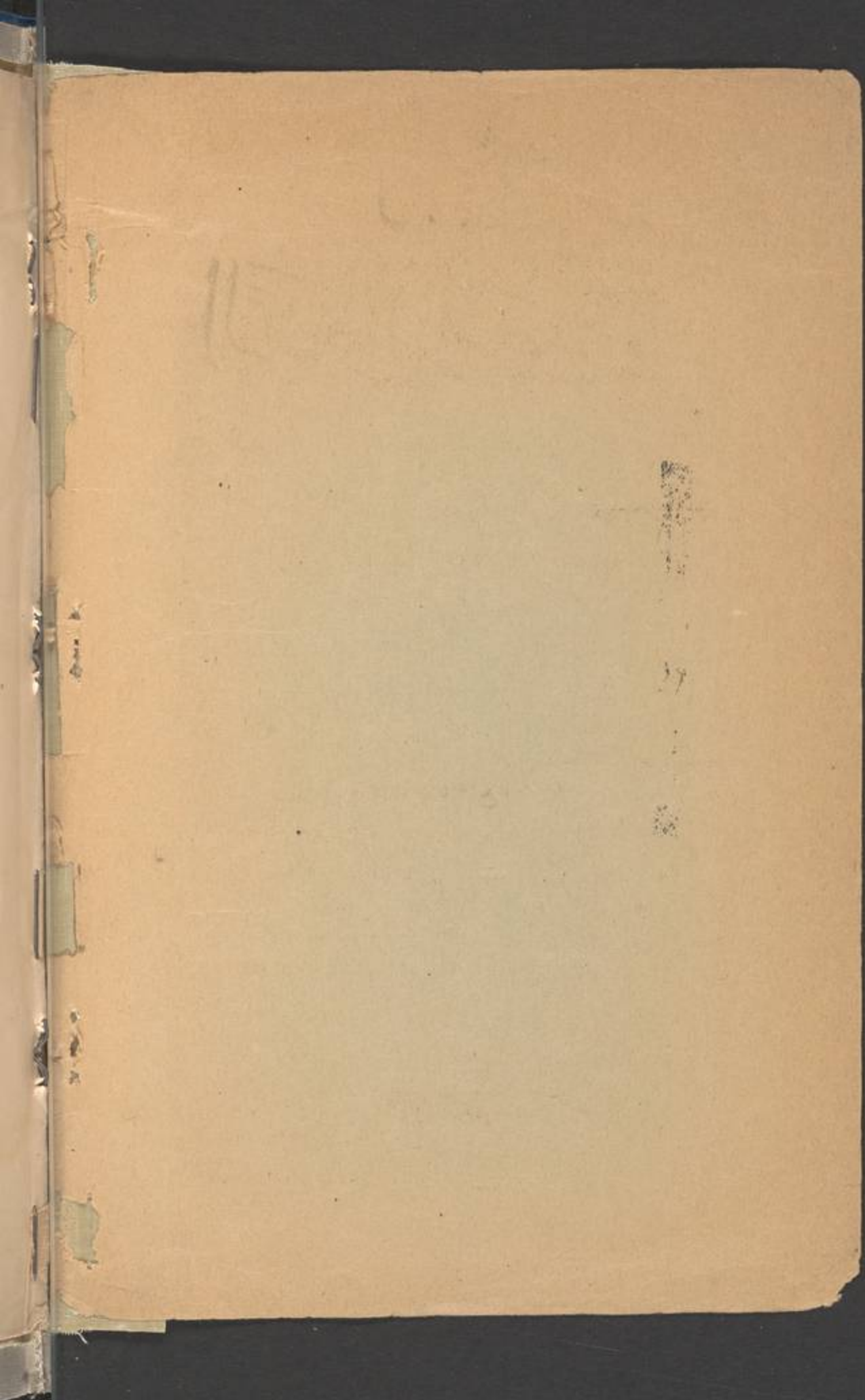
نقلها من اللغة الفارسية الى اللغة العربية الأستاذ الامام

الشيخ محمد عبده

يطلب من

المكتبة المحمودية التجارية بمصر
ميدان الجامع الأزهر : صندوق بومه رقم (٥٠٥) مصر

N. Y. U. LIBRARIES



al-Afghānī, Jamāl al-Dīn

/al-Radd 'alā al-dahrīyīn/

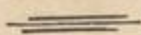
الرد على الدهريين

للصالح الكبير السيد جمال الدين الأفغانى

مصدراً بترجمته رحمه الله

نقلها من اللغة الفارسية الى اللغة العربية الاستاذ الامام

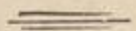
الشيخ محمد عبده



يطلب من

المكتبة المحمدية التجارية ببيدان الجامع الأزهر بمصر

صندوق بوسته رقم : (٥٠٥) مصر



طبع سنة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م حقوق الطبع محفوظة

* ~~~~~ *

المطبعة المحمدية التجارية بمصر

تليفون رقم : ٥٣٠٦٧

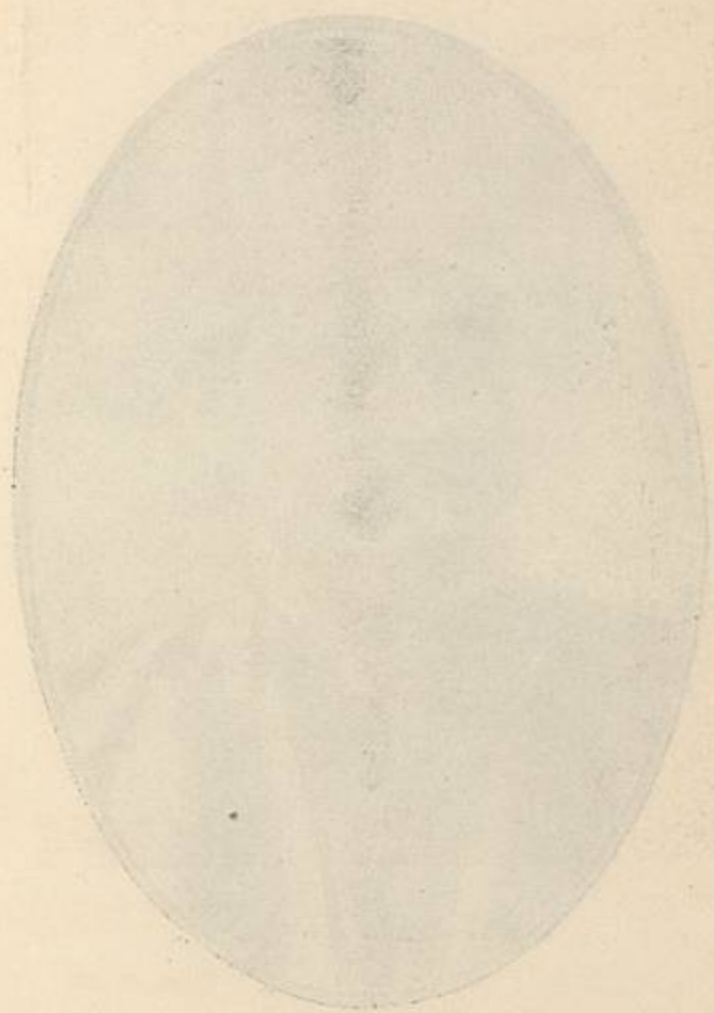
Near East

~~B
825
A316
1935
e-1~~

B
825
A3212
1935
e-1



المصلح الكبير
السيد جمال الدين الافغاني



Handwritten text, possibly a signature or name, located below the watermark. The text is faint and appears to be written in cursive or a similar script. It is located at the bottom center of the page, below the watermark.

تعداد

السيد جمال الدين الحسيني الاقصابي

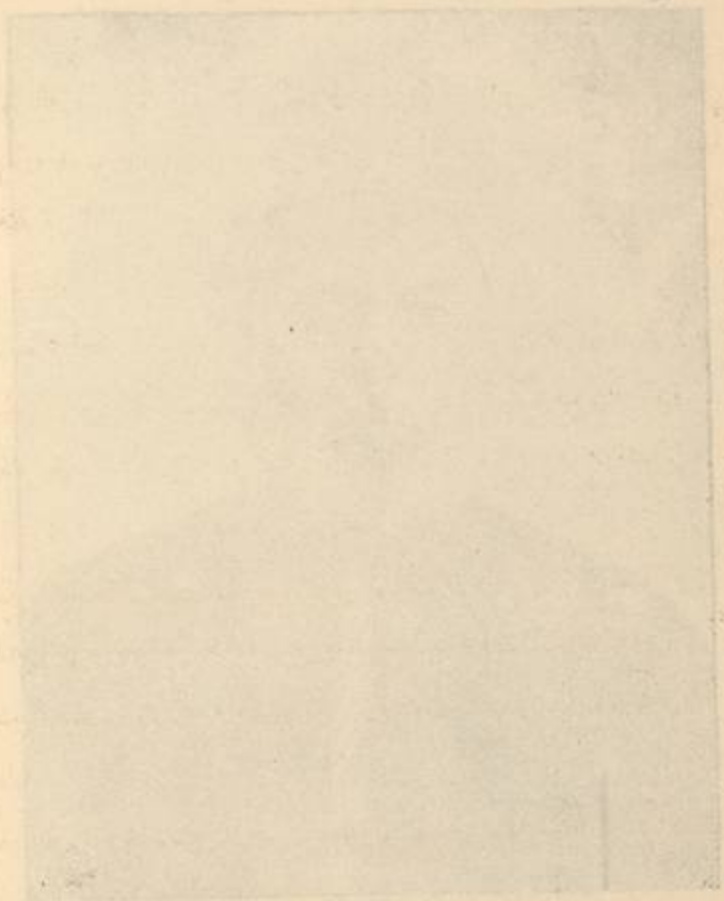
تولد ۱۲۸۶ (۱۸۶۷) در تهران - وفات ۱۳۶۲ (۱۹۴۳)



الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

معاش
الطبيع
شرايع
أشار
ومنهم
وينتوا
و
فيسير
بأنخر
ياهم
مكا
ومن قد
ديرم
ولم
قد
الأعمال

فصل في بيان...



فصل في بيان...

السيد جمال الدين الحسيني الافغانى

ولد سنة ١٢٥٤هـ (١٨٣٩ م) وتوفى سنة ١٣١٤هـ (١٨٩٧ م)

تمهيد

قد تمر القرون ، وتتوالى الأجيال ، والناس على ما ساقهم اليه الحاجة من شؤون معائشهم لا يفقهون غشها من سميتها ، ولا يدركون مبدأها ولا مصيرها ، حتى تتمخض الطبيعة فتلد من أبنائها أفراداً يميطنون عن أسرارها اللثام ، فيرى الناس من ورائه شرائع ونواميس كانوا عنها غافلين .

أولئك هم أقطاب العلم ، وأنوار العالم ، ومنهم الفلاسفة الطبيعيون الذين مزقوا أستار الجهل ، وكشفوا غوامض الطبيعة ، فهدوا سبل الاختراع والاكتشاف ومنهم الفلاسفة العقليون الذين استطلعوا أسرار الحكمة المستترة وراثة تلك النواميس وبنوا ما أودعه الخالق في خليقته من القواعد العقلية ، والروابط الأدبية .

ولكن الطبيعة لا تجود بواحد من أولئك الأفراد إلا كل بضعة قرون ، فيسير الناس على خطواته أجيالاً ، حتى اذا كادوا يرجعون الى غيهم جادت عليهم بآخري نفث فيهم روحاً حية فيهبون من رقادهم ، ويعودون الى رشدهم ، ريثما ياتيهم ثالث .

هكذا كان شأن العالم من بدء عمرانه ، ومن أولئك الفلاسفة سقراط ، وأفلاطون ومن تقدمهم وجاء بعدهم من فلاسفة اليونان ، والرومان ، والفرس ، والعرب وغيرهم من علماء المقول والمنقول ، بمن لانزال نستضى بنبراسهم .

ولكن الله في خلقه حكمة لا تدركها العقول .

فقد ينبغ في بعض الأجيال أفراد توفرت فيهم قوى الفلاسفة ، ومواهب رجال الأعمال ، فتحيط بهم بيئات لا تصلح لنماء ما يغرسون ، فيذهب سعيهم هباءً مشوراً

ولما كان الانسان لا يقدر العمل إلا بنسبة ما يترتب عليه من الفائدة ، كان نصيب كثيرين من عظماء الأرض جهل الناس حق قدرهم ، وإغفال التاريخ ذكرهم ، كما هو شأننا بفقيد الشرق الفيلسوف الخطيب السيد جمال الدين الأفغاني رحمه الله فقد نشأ قطباً من أقطاب الفلسفة وعاش ركناً من أركان السياسة ، ولكنه مات ولم يتم عملاً ، ولا ألف كتاباً ، على أن ذلك لا يحط من مقامه وقد رأينا أعظم فلاسفة اليونان - سقراط - مات ولم يدون شيئاً من كلامه ، ولكن تلامذته حفظوا فلسفته ودونوها ، فتوارثتها الأجيال خلفاً عن سلف ، فعمى أن لانحرم من مريدى الأستاذ وتلامذته من يفعل مثل ذلك (١)

(١) قد أثمر والله الحمد الغرس الصالح فنبغ من تلامذة الأستاذ المترجم أساطين العلم وقادة الأمة وفي مقدمتهم الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده والزعيم سعد زغلول والمؤيد المحي وكثيرون غيرهم لا يزالون على قيد الحياة .

ترجمته

هو السيد محمد جمال الدين بن السيد صفتر ولد في بيت شرف وعلم بقرية أسعد آباد من قرى كندر ، من أعمال كابل ، ببلاد الافغان ، سنة ١٢٥٤ هـ (١٨٣٩ م) ويتصل نسبه الى السيد أبي علي الترمذى المحدث المشهور ، ويرتقى الى الامام الحسين ابن علي بن أبي طالب ، وآل هذا البيت عشيرة كبيرة تقيم في خطة كندر ، ولها منزلة عليا في قلوب الافغانين لحرمة نسبها ، وكانت تملك جزءا من أرض الافغان حتى سلب الملك منها دوست محمد خان جد الأمير الحالي (١) وأمر بنقل والد السيد جمال الدين وبعض أعمامه الى مدينة كابل وجمال الدين لا يزال في الثامنة من عمره ، فعنى والده في تربيتـه وتثقيفه ، فتلقى مبادئ العلوم العربية ، والتاريخ وعلوم الشريعة ، من تفسير ، وحديث ، وفقه ، وأصول ، وكلام ، وتصوف والعلوم العقلية من منطق ، وحكمة عملية ، وسياسية ، ومنزلية ، وتهذيبية ، وحكمة نظرية طبيعية ، وإلهية ، والعلوم الرياضية من حساب ، وهندسة ، وجبر ، وهيئة أفلاك ، ونظريات الطب ، والتشريح .

وكانت ملامح النجابة والذكاء ظاهرة فيه منذ نعومة أظفاره ، فأتم هذا كله وهو في الثامنة عشرة من عمره .

ثم عرض له سفر الى بلاد الهند فأقام بها سنة وبضعة أشهر ينظر في بعض العلوم الرياضية على الطريقة الافرنجية الحديثة ، وقدم بعد ذلك الى الافطار الحجازية لأداء فريضة الحج ف قضى سنة ينتقل من بلد الى آخر حتى وافى مكة المكرمة في سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧ م) فوقف على كثير من عادات الامم التي مر

(١) يريد الملك أمان الله خان الذي خلع ويعيش الآن في باريس .

بها في سياحته ، ثم رجع الى بلاده وانتظم في سلك رجال الحكومة على عهد الامير دوست محمد خان المتقدم ذكره ، ولما زحف هذا الامير الى هراة ليفتحها ويملكها على سلطان احمد شاه صهره وابن عمه ، سار السيد جمال الدين معه في جيشه ، ولازمه مدة الحصار الى أن توفي الامير وفتحت المدينة بعد معاناة الحصر زمنا طويلا . وتقلد الامارة ولى عهدا شير على خان سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٤ م) وأشار عليه وزيره محمد رفيق خان أن يقبض على إخوته ويعتقلهم ، فان لم يفعل سعوا بالناس الى الفتنة ، واليوم للفساد طلبا للاستبداد بالامارة ، وكان في جيش هراة من إخوة الامير ثلاثة ، محمد أعظم ، ومحمد أسلم ، ومحمد أمين . فانتصر السيد جمال الدين لمحمد أعظم ، فلما أحسوا بتدبير الامير ومشورة الوزير أسرعوا الى الفرار ، وتفرقوا في الولايات ، فذهب كل منهم الى ولايته التي كان يليها من قبل أبيه ، وطاشت بهم الفتن ، واشتعلت نيران الحروب الداخلية ، وبعد مجادلات عنيفة عظم أمر محمد أعظم وابن أخيه عبد الرحمن وتغلبا على عاصمة المملكة ، وأنقذا محمد أفضل والد عبد الرحمن من سجن قرنة وسمياه أميراً على افغانستان ، ثم أدركه الموت بعد سنة . وقام على الامارة بعده شقيقه محمد أعظم خان ، فارتفعت منزلة جمال الدين عنده فأحله محل الوزير الاول ، وعظمت ثقته به . فكان يلجأ لرأيه في العظام ومادونها . وكادت تخلص حكومة الأفغان لمحمد أعظم بتدبير السيد جمال الدين لولا سوء ظن الامير بالأغلب من ذوى قرابته ، حمله على تفويض مهمات من الاعمال الى أبنائه الأحداث وهم خلو من التجربة ، عراة من الحنكة فساق الطيش أحدهم . وكان حاكما في قندهار - على منازل عمه شير على في هراة ، ولم يكن له من الملك سواها . وظن الفتى أنه يظفر فينال عند أبيه حظوة فيرفعه على سائر إخوته ، فلما تلاقى مع جيش عمه دفعته الجراة على الانفراد عن جيشه في مائتي جندي اخترق بها صفوف أعدائه ، فأوقع الرعب في قلوبهم ، وكادوا ينهزمون لولا ماالتفت يعقوب خان

قائد شير على فوجد ذلك الفر المنهور منقطعا عن جيشه ، ففكر عليه وأخذه أسيراً
 قشقت جند قندهار ، وقوى الأمل عند شير على فحمل على قندهار واستولى عليها
 وعادت الحرب الى شبابها ، وعضد الانكليز شير على وبذلوا له قناطير من الذهب
 ففرقها في الرؤساء والعاملين لمحمد أعظم ، فبيعت أمانات ، ونقضت عهود ، وجددت
 خيانات . وبعد حروب هائلة تغلب شير على وانهزم محمد أعظم وابن أخيه عبدالرحمن
 فذهب عبد الرحمن الى بخاري ، وذهب محمد أعظم الى بلاد إيران ، ومات بعد
 أشهر في مدينة نيسابور .

أما السيد جمال الدين فبقى في كابل لم يمسه الا مير بسوء احتراماً لعشيرته
 وخوف انتقاد العامة عليه حمية لآل البيت النبوي ، إلا أنه لم ينصرف عن الاحتيال
 للغدر به والانتقام منه بوجه يلتبس على الناس حقه بباطله ، ولهذا رأى السيد
 جمال الدين خيراً له أن يفارق بلاد الافغان ، فاستأذن للحج فأذن له على شرط أن
 لا يمر ببلاد إيران كيلا يلتقى فيها بمحمد أعظم - وكان لم يمض بعد - فارتحل على
 طريق الهند سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٩ م) بعد هزيمة محمد أعظم بثلاثة أشهر ، فلما
 وصل الى التخوم الهندية تلقته حكومة الهند بحفاوة وإجلال ، إلا أنها لم تسمح له
 بطول الإقامة في بلادها ، ولا أذنت للعلماء في الاجتماع عليه إلا تحت مراقبة رجالها
 فلم يبق هناك إلا شهراً ثم سيرته من سواحل الهند في أحد مراكبها الى السويس
 فجاء مصر وأقام بها نحو أربعين يوماً ، تردد فيها على الجامع الأزهر وخالطه كثير
 من طلبة العلم السوريين ، ومالوا اليه كل الميل ، وسألوه أن يقرأ لهم شرح الاظهار
 فقرأ لهم بعضاً منه في بيته ، ثم تحول عن الحجاز عزمه ، وتعجل بالسفر الى الاستانة
 وبعد أيام من وصوله الاستانة قابل الصدر الأعظم عالي باشا فنزل منه منزلة
 الكرامة ، وعرف له الصدر فضله ، وأقبل عليه بما لم يسبق لمثله . وهو مع ذلك يزيه
 الافغان من القباة والكساء والعامة العجراة ، وحرمت عليه لفضله قلوب الأمراء

والوزراء ، وعلا ذكره بينهم ، وتناقلوا الثناء على علمه وأدبه ، وهو غريب عن أزيائهم ولغتهم وعاداتهم ، ولم تمض ستة أشهر حتى سمي عضواً في مجلس المعارف فأدى حق الاستقامة في آرائه ، ولكنه أشار الى طرق لتعميم المعارف لم يوافقه عليها رفاقوه ، وبينها ماساء شيخ الاسلام إذ ذاك لأنها كانت تمس شيئاً من رزقه فأرصد له العنت حتى كان رمضان سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧١ م) فرغب اليه مدير دار الفنون أن يلقى فيها خطاباً للحث على الصناعات فاعتذر اليه بضعفه في اللغة التركية فألح عليه فأنشأ خطاباً طويلاً كتبه قبل إلقائه ، وعرضه على نخبة من أصحاب المناصب العالية فاستحسنوه .

فلما كان اليوم المعين لاستماع الخطاب ، تسارع الناس الى دار الفنون ، واحتفل له جم غفير من رجال الحكومة ، وأعيان أهل العلم ، وأرباب الجرائد ، وحضر في الجمع معظم الوزراء . فصعد السيد جمال الدين على منبر الخطابة وألقى ما كان أعده ببلاغة سحرت عقول السامعين ، فأنكر مشائخ العلم شيئاً من آرائه ، واتصل الأمر بشيخ الاسلام - وكان متغيراً عليه كما علمت - فالتمس من الدولة إبعاده عن الاستانة فصدر له الأمر بالجلء عنها بضعة أشهر حتى تسكن الخواطر ، ويهدأ الاضطراب ثم يعود إن شاء الله ، ففارقها وحمله بعض من كان معه على التحول الى مصر ، فجاء إليها في أول المحرم سنة ١٢٨٨ هـ (٢٢ مارس ١٨٧١ م) .

قدم السيد جمال الدين الى مصر على قصد التفرج بما يراه من مناظرها ومظاهرها ولم تسكن له عزيمة على الإقامة بها ، حتى لاقى صاحب الدولة رياض باشا فاستمالته مساعيه الى المقام ، وأجرت عليه الحكومة راتباً مقداره ألف غرش مصري كل شهر نزلاً أكرمه به لاقى مقابلة عمل ، واهتدى اليه بعد الإقامة كثير من طلبة العلم واستوروا زنده فأورى ، واستفاضوا بحره ففاض درا ، وحملوه على التدريس فقرأ من الكتب العامية في فنون الكلام الأعلى ، والحكمة النظرية من طبيعية

وعقلية ، وفي علم الهيئة الفلكية ، وعلم التصوف ، وعلم أصول الفقه الاسلامي وكانت مدرسته بيته : فعظم أمره في نفوس طلاب العلوم ، واستجزلوا فوائده الاخذ عنه ، وأعجبوا بعلمه وأدبه ، وانطلقت الالسن بالثناء عليه ، وانتشر صيته في الديار المصرية .

ثم وجه عنايته لتمزيق حجب الاوهام عن أنوار العقول ، فنشطت لذلك أبواب ، واستنضات بصائر ، وحمل تلامذته على العمل في الكتابة وإنشاء الفصول الاديية ، والحكمية ، والدينية ، فاشتغلوا على نظره وبرعوا ، وتقدم فن الكتابة في مصر بسعيه ، وكان القادرون على الاجادة في المواضيع المختلفة قليلين .

فنبغ من تلامذته في القطر المصري كتبة لا يشق غبارهم ، ولا يوطأ مضارهم وأغلبهم أحداث في السن ، شيوخ في الصناعة ، وما منهم إلا من أخذ عنه أو عن أحد تلامذته ، أو قلد المتصلين به ، هذا ما حسده عليه أقوام واتخذوا سييلا للظعن عليه من قراءته بعض الكتب الفلسفية ، أخذاً بقول جماعة من المتأخرين في تحريم النظر فيها ، فتمكنوا من نسبة ما أودعته كتب الفلاسفة الى رأى هذا الرجل وأذاعوا ذلك بين العامة ، ثم أيدهم أخلاط من الناس من مذاهب مختلفة ، غير أن هذا كله لم يؤثر في مقامه من نفوس العارفين بحاله .

وكان رحمه الله على علمه وفضله ميالا الى السياسة ، فنظر في حال مصر وما آلت اليه من التداخل الاجنبي فعلم أن لابد من تغير أحوالها ، وكان قد انتظم في سلك الجمعية الماسونية وتقدم فيها حتى صار من الرؤساء ، فأنشأ محفلا وطنياً تابعاً للشرق الفرنسي دعا اليه مردييه من العلماء والوجهاء فصار أعضاؤه نحواً من ثلاثمائة عداء ، فلما عظم أمر محفله دخل الخوف فنصل انكثرا فوشى به الى الحكومة ، وبث الرقابة في المحفل فسعوا فيه فساداً ، وفي خلال ذلك بلغت أحوال مصر نهاية الارتباك فصرح بأمر قوت حجة الساعين . وكان قد تولى مصر المرحوم الخديوي

السابق توفيق باشا فاصدر أمره باخراجه من القطر المصرى هو وتابعه أبو تراب فقارق مصر الى البلاد الهندية سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩ م) وأقام بمحدر آباد الدكن وفيها كتب رسالته فى « نفى مذهب الدهريين » ولما كانت الحوادث العراية بمصر دعى من حيدر آباد الى كليكته ، وألزمته حكومة الهند بالاقامة فيها حتى انقضى أمر مصروفات الحرب الانكليزية ، ثم أبيع له الذهاب الى أى بلد فاختر الشخوص الى أوربا وأول مدينة نزلها مدينة لوندرا أقام بها أياما قلائل ، ثم انتقل الى باريس فوافاه اليها صديقه الشيخ محمد عبده المصرى . وكانت فى مصر جمعية وطنية اسمها جمعية العروة الوثقى ، فكلفته - على بعد الدار - أن ينشئ جريدة تدعو المسلمين الى الوحدة الاسلاميه ، فأنشأ « العروة الوثقى » وكلف صديقه المشار اليه بتحريرها وكان لها وقع حسن فى العالم الاسلامى فنشر منها ١٨ عددا ، ثم قامت الموانع دون استمرارها حيث أقفلت أبواب الهند عنها ، وشددت الحكومة الانكليزية فى إسائة من يقرأها .

وقضى جمال الدين فى باريس . ثلاث سنوات نشر فى أثناءها مقالات فى جرائدها تبحث فى سياسة روسيا وانكلترا والدولة العلية ومصر ، ترجمت جرائد انكلترا كثيرا منها ، وجرت له أبحاث فلسفية مع الفيلسوف الفرنسي رينان فى العلم والاسلام ، فشهد له هذا بسعة العلم ، وقوة الحججة . ثم شخص الى لندرا بايعاز اللورد تشرشل واللورد سالسبرى لیسألاه عن رأيه فى المهدي وظهوره إذ ذاك ، ثم عاد الى فرنسا وتعرف بكثيرين من علمائها وفلاسفتها ، فأحلوه مكانا علياً .

ثم عزم على الحج فاستقدمه شاه الفرس إذ ذاك المرحوم ناصر الدين شاه على ليراه ، فسار قاصداً طهران فالتقى فى أصفهان بالأمير ظل السلطان فلاقى منه إكراماً ، حتى اذا وصل طهران استقبله الشاه أحسن استقبال ، وأكثر من الثناء عليه حيثما ذكره ، حتى فى بلاطه وبين أهله وأولاده ، وولاه نظارة الحربية على أن يرقبه بعد قليل الى منصب الصدارة .

وكان جمال الدين قد درس أخلاق الأمم ، وعرف تواريخ الدول ، وتدبير أحوال الفرق السياسية على اختلاف الامكنة والازمنة ، مع بلاغته وقوة برهانه . فقال لدى أمراء الفرس وعلماؤها منزلة قل أن يناهها غيره في مثل حاله ، فأصبح منزله حلقة علم يؤمها سراة البلاد ووجهائها . يتساقون الى سماع حديثه . فخامر الشاه ريب من أمره مخافة أن يكون وراء ذلك ما يخشى منه على سلطانه ، فأبدي تغييره عليه فأدرك جمال الدين مافي نفسه فاستأذنه في السفر لتبديل الهواء فأذن له ، فسار الى موسكو بروسيا فلاقاه أهلها بالتجلة والاكرام لما سبق الى مسامعهم من شهرته ثم شخص الى بطرسبورج وتعرف باعظم رجالها من العلماء والسياسيين ، ونشر في جرائدها مقالات ضافية في سياسة الافغان ، والفرس ، والدولة العلية ، والروسية والانكليزية ، كان لها دوي شديد في جو السياسة .

واتفق إذ ذاك فتح معرض باريس لسنة ١٨٨٩ فشخص جمال الدين اليها فالتقى بالشاه في مونيخ عاصمة بافاريا عائداً من باريس ، فدعاه الشاه الى مرافقته فأجاب الدعوة وسار في معيته الى فارس ، فلم يكذبصل الى طهران حتى عاد الناس الى الاجتماع به والانتفاع بعلمه ، والشاه لا يرتاب من أمره كأن سياحته في أوروبا محت كثيراً من شكوكه ، فكان يقربه منه ، ويوسطه في قضاء كثير من مهام حكومته ، ويستشيره في سن القوانين ونحوها . فشق ذلك على أصحاب النفوذ وخصوصاً الصدر الأعظم ، فأمر الى الشاه أن هذه القوانين وإن تكن لا تخلو من النفع فهي لا توافق حال البلاد ، فضلاً عما ستؤول اليه من تحويل نفوذ الشاه الى سواه ، فأثر ذلك في الشاه حتى ظهر على وجهه ؛ فأحس جمال الدين بالأمر فاستأذنه في المسير الى بلدة شاه عبد العظيم على بعد ٣٠ كيلواً متراً من طهران ، فأذن له فبعه جم غفير من العلماء والوجهاء ، وكان يخطب فيهم ويستحثهم على إصلاح حكومتهم فلم تمض ثمانية أشهر حتى ذاعت شهرته في أقاصى بلاد الفرس ، وشاع عزمه على

إصلاح إيران ، يخاف ناصر الدين عاقبة ذلك فأخذ الى شاه عبد العظيم خمسمائة فارس قبضوا على جمال الدين وكان مريضاً ، فحملوه من فراشه وساقوه يخفروه خمسين فارساً الى حدود المملكة العثمانية ، فعظم ذلك على مردييه في إيران فثاروا حتى خاف الشاه على حياته .

أما جمال الدين فكث في البصرة ريثما عادت اليه صحته ، فشخص الى لندن - وقد عرفه الانكليز من قبل - فتلقوه بالاكرام ، ودعوه الى مجتمعاتهم السياسية ، وأنديتهم العلمية ، ليروه ويسمعوا حديثه . وكان أكثر كلامه معهم في بيان حال الشاه وتصرفه في المملكة ، وما آلت اليه حالها في عهده ، مع حث حكومة الانكليز على السعي في خلعه ، وفيما هو في ذلك ورد عليه كتاب من المايين الهايوني بواسطة المرحوم رستم باشا سفير الدولة العلية في لندن اذ ذاك أن يقدم الى الآستانة ، فاعتذر بأنه في شاغل وقتي لاصلاح بلاده ، فورد عليه كتاب آخر وفيه ثناء وتحريض ، فأجاب الدعوة تلغرافياً على أن يتشرف بمقابلة جلالة السلطان ثم يعود ، فقدم الآستانة سنة ١٨٩٢ فظابت له فيها الإقامة لما لاقاه من النفات الحضرة السلطانية ، وإكرام العلماء ورجال السياسة ، وما زال فيها معزراً مكرماً وجيهاً محترماً حتى داممه السرطان في فكة أواخر العام الماضي ، وامتد الى عنقه فتوفاه الله في ٩ مارس (١٨٩٧ م) واحتفل بجنازته ودفنه في مدفن « شيخلر مزارلغى » قرب نشان طاش .

صفاته ومناقبه

صفاته الشخصية : كان أسمر اللون بما يشبه أهل الحجاز ، ربة ممتلى البنية أسود العينين ، نافذ اللحظ ، جذاب النظر ، مع قصر فيه . فاذا قرأ أدنى الكتاب من عينيه ، ولكنه لم يستخدم النظارات ، وكان خفيف العارضين ، مسترسل الشعر بجبسة وسراويلات سوداء تنطبق على الكاحلين ، وعمامة صغيرة بيضاء على زي علماء الآستانة .

طعامه : كان قاتا قليل الطعام لا يتناوله إلا مرة في النهار ، و يعتاض عما يفوته من ذلك بما يشربه من منقوع الشاي مراراً في اليوم ، والعفة في الطعام لازمة لمن يعمل أعمالاً عقلية ، لأن البطنة تذهب الفطنة ، وكان يدخن نوعاً من السيكار الافرنجى الجيد ، ولشدة ولعه بالتدخين وعنايته في انتقاء السيكار لم يكن يركن الى أحد من خدمه في ابتياعه فيبتاعه هو نفسه .

مسكنه : كان يقيم في أواخر أيامه بقصر في نشان طاش بالاستانة أنعم عليه به جلالة مولانا السلطان ، وفيه الاثاث والرياش ، وعربة من الاصطبل العامر يجرها جوادان ، وأجرى عليه رزقا مقداره خمس وسبعون ليرة عثمانية في الشهر ، فكان قبل مرضه الأخير يقيم معظم النهار في منزله ، فاذا كان الاصيل ركب العربة لتزويج النفس في منتزه كاغدخانه بضواحي الاستانة ، وكان كثير القيام لاينام إلا من وقت الغلس الى الضحى .

مجلسه وخطابه : كان أديب المجلس ، كثير الاحتفاء بزيارته على اختلاف طبقاتهم ، ينهض لاستقبالهم ، ويخرج لوداعهم ، ولا يستنكف من زيارة أصغرهم على امتناعه من زيارة أكبرهم اذا ظن في زيارته ترفها ، وكان ذا عارضة وبلاغة لا يتكلم إلا اللغة الفصحى ، بعبارات واضحة جلية ، واذا آس من سامعه التباسا بسط مراده بعبارة أوضح ، فاذا كان السامع عامياً تنازل الى مخاطبته بلغة العامة وكان خطيباً مصقعا لم يقم في الشرق أخطب منه ، وكان قليل المزاح ، رزينا كتوما قد يخاطب عشرات من الناس في اليوم ، فيبحث مع كل منهم في موضوع يهمه فاذا خرج جلسه كان خروجه آخر عهده بذلك الموضوع حتى يعود هو اليه بشأته أخلاقه : كان حر الضمير ، صادق اللمجة ، عفيف النفس ، رقيق الجانب وديعا مع أئمة وعظمة ، ثابت الجأش . قد يساق الى القتل فيسير اليه سير الشجاع الى الظفر ، وكان كريم النفس راغبا عن حطام الدنيا ، لا يدخر مالا ، ولا يخاف

عوزا ، ومارواه الاديب (١) رحمه الله أن جمال الدين لما أبعده من مصر أنزل في السويس خالي الجيب فأتاه السيد النقادى فنصل إيران في ذلك الثغر ومعه نفر من تجار العجم قدموا له مقداراً من المال على سبيل الهدية ، والقرض الحسن ، فردده وقال لهم « احفظوا المال فأنتم اليه أحوج ، إن الليث لا يعدم فريسة حينما ذهب » وكان مقداما حائثا على الاقدام ، فلا يخرج جليسه من بين يديه إلا وقد قام في نفسه محرض على العلي ، منشط على السعي في سبيلها ، ولكنه كان على فضله لا يخلو من حدة المزاج ، ولعلها كانت من أكبر الاسباب لما لاقاه من عواقب الوشاية .

عقله : كان ذكيا فطنا حاد الذهن ، سريع الملاحظة ، يكاد يكشف حجب الضمائر ، ويهتك أستار السرائر ، دقيق النظر في المسائل العقلية ، قوى الحججة ذا نفوذ عجيب على جلسائه ، فلا يباحثه أحد الا يشعر بانقياد الى برهانه ، وربما لا يكون البرهان بحد ذاته مقنعا .

وكان مع ذلك قوى الذاكرة حتى قيل إنه تعلم اللغة الفرنسية - أو بعضها - وصار يقدر على الترجمة منها ، ويحفظ من مفرداتها شيئا كثيرا في أقل من ثلاثة أشهر بلا أستاذ ، الا من علمه حروف هجائها يومين .

علومه : كان واسع الاطلاع في العلوم العقلية والنقلية ، وخصوصا الفلسفة القديمة ، وفلسفة تاريخ الاسلام ، والتقدم الاسلامي ، وسائر أحوال الاسلام وكان يعرف اللغات الافغانية ، والفارسية ، والعربية ، والتركية ، والفرنساوية جيدا مع إلمام باللغتين الانكليزية ، والروسية ، وكان كثير المطالعة لم يفته كتاب كتب في آداب الامم وفلسفة أخلاقهم إلا طالعها ، وأكثر مطالعته في اللغتين العربية والفارسية .

آماله وأعماله : يؤخذ من مجمل أحواله أن الغرض الذي كان يصبو نحوه أعماله

(١) هو المرحوم عبد الله النديم صاحب جريدة الاستاذ .

والمحور الذي كانت تدور عليه آماله ؛ توحيد كلمة الاسلام ، وجمع شتات المسلمين في سائر أقطار العالم في حوزة دولة واحدة إسلامية تحت ظل الخلافة العظمى ، وقد بذل في هذا المسعى جهده ، وانقطع عن العالم من أجله ، فلم يتخذ زوجة ، ولا التمس كسباً. ولكنه مع ذلك لم يوفق الى كل ما أراد فقضى ، ولم يدون من بنات أفكاره إلا رسالة في نفى مذهب الدهريين ، ورسائل متفرقة في مواضع مختلفة قد تقدم ذكرها. ولكنه بث في نفوس أصدقائه ومريديه روحاً حية حركت همهم ، وحدثت أقدامهم ، فاتفع الشرق وسوف ينتفع بأعمالهم .

اتمى - نقلاً عن مجلة « الهلال » في ١ ابريل سنة ١٨٩٧

— ٢٩ شوال سنة ١٣١٤

وهذه هي الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب) .

الدين قوام الامم ، وبه فلاحها ، وفيه سعادتها ، وعليه مدارها .
 النيشرية جرثومة الفساد ، وأرومة الاداد ، وخراب البلاد ، وبها هلاك العباد .
 شاع لفظ النيشرية حتى طبق البلاد الهندية في هذه الأيام ، وأصبحت هذه
 الكلمة دائرة في المحافل ، سيارة في المجامع ، وللعامه والخاصة فيها مذاهب وهم
 وطرائق وهم ، فالغالب منهم يخط على بعد من حقيقتها ، في غفلة عن أصل وضعها
 لهذا رأيت من الحق أن أشرح مفهومها ، وأكشف المراد منها ، وأرفع
 الستار عن حال النيشريين من بداية أمرهم ، وأعرض للناظرين شيئا من مفاسدهم
 وما لحقوا بالنوع الانساني من المضار التي خبث أثرها ، وساء ذكرها مستندا في ذلك
 على التاريخ الصحيح آخذاً من البرهان العقلي بدليل يثبت أن هذه الطائفة على اختلاف
 مظاهرها ، لم يفش رأيها في أمة من الامم ، الا كان سببا في اضمحلالها وانقراضها
 أثبت ثقاة المؤرخين أن حكماء اليونان انقسموا في القرن الرابع والثالث قبل
 المسيح الى فقتين .

ذهب لإحدهما الى وجود ذات مجردة عن المادة والمدة ، مخالفة للبحسوسات
 في لوازمها ، منزهة عن لواحق الجسمانية وعوارضها وأثبتت أن سلسلة الموجودات

مادية وب مجردة تنتهى الى موجود مجرد واحد من جميع الوجوه ، مبرأ الذات عن التآليف والتركيب ، ومحال عند العقل تصور التركيب فيه وجوده . عين حقيقته وحقيقته عين وجوده وهو المصدر الاول ، والموجد الحقيقي ، والمبدع لجميع الكائنات مجردة كانت أو مادية ، واشتهرت هذه الطائفة بالمتألهين (الخاضعين لله) ومنهم فيثاغورث ، وسقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو ، ومن أهل مذهبهم كثير وذهبت أخرى الطائفتين الى نفى كل موجود سوى المادة والماديات ، وأن وصف الوجود مختص بما يدرك بالحواس الخمس لا يتناول شيئاً وراءه ، وعرفت هذه الطائفة بالماديين ، ولما سئلوا عن منشأ الاختلاف في صور المواد وخواصها والتنوع الواقع في آثارها ، نسبة الاقدمون منهم الى طبيعتها ، واسم الطبيعة في اللغة الفرنسية (ناتور) وفي الانكليزية (نيشر) ولهذا اشتهرت هذه الطائفة عند العرب بالطيبعيين ، وعند الفرنسيين باسم (ناتور اليسم) أو (ماتير اليسم) الاول من حيث هي طبيعية ، والثاني من حيث هي مادية .

ثم اختلف هؤلاء بعد اعتماد أصلهم هذا في تكوين الكواكب وتصوير الحيوانات وإنشاء النباتات ، فذهب فريق منهم الى أن وجود الكائنات العلوية والسفلية ونشأة المواليذ على ما نرى ، إنما هو من الاتفاق وأحكام الصدفة ، وعلى ذلك إتقان بنائها ، وإحكام نظامها ، لا منشأ له إلا الصدفة ، كأنما أدت بهم سخافة الفهم الى تجويز الرجوع بلا مرجح ، وقد أحالته بداهة العقل .

ورأس القائلين بهذا القول ديمقراطيس ، ومن رأيه أن العالم أجمع أرضيات وسماويات مؤلف من أجزاء صغار (١) صلبة متحركة بالطبع ، ومن حركتها هذه ظهرت أشكال الاجسام وهيئاتها بقضاء العناية المطلقة .

(١) وهى ما يعبر عنه الطبيعيون بذرات المادة ويقولون هى فى الحيوان والنبات والجماد من نوع واحد وإنما اختلفت نسبه وتركيبه بنسب متباينة .

وذهب فريق آخر الى أن الاجرام السماوية ، والكرة الارضية ، كانت على هيتها هذه من ازل الآزال ولا تزال ، ولا ابتداء لسلسلة النباتات والحيوانات وزعموا أن في كل بزررة نباتاً مندجاً فيها ، وفي كل نبت بزررة كامنة ، ثم في هذه البزررة الكامنة نبت ، وفيه بزررة الى غير النهاية ، وعلى هذا زعموا أن في كل جرثومة من جراثيم الحيوانات حيواناً تام التركيب ، وفي كل حيوان كامن في الجرثومة جرثومة أخرى ، يذهب كذلك الى غير نهاية .

وغفل أصحاب هذا الزعم عما يلزمه من وجود مقادير غير متناهية ، في مقدار متناه ، وهو من المحالات الاولى .

وزعم فريق ثالث أن سلسلة النباتات والحيوانات قديمة بالنوع ، كما أن الاجرام العلوية وهياتها قديمة بالشخص ، ولكن لا شيء من جزئيات الجراثيم الحيوانية ، والبزور النباتية بقديم ، وإنما كل جرثومة وبزررة هي بمنزلة قالب يتكون فيه ما يشاكله من جرثومة وبزررة أخرى .

وقاتهم ملاحظة أن كثيراً من الحيوانات الناقصة الحلقة قد يتولد عنها حيوان تام الحلقة ، وكذلك الحيوان التام الحلقة قد يتولد عنه ناقصها أو زائدها .

ومال جماعة منهم الى الابهام في البيان ، فقالوا إن أنواع النباتات والحيوانات تقلبت في أطوار ، وتبدلت عليها صور مختلفة بمرور الزمان وكرور الدهور ، حتى وصلت الى هياتها وصورها المشهودة لنا ، وأول النازعين الى هذا الرأي (أيقور) أحد اتباع (ديوجينس الكلبي) ومن مزاعمه أن الانسان في بعض أطواره كان مثل الخنزير مستور البشرة بالشعر الكثيف ثم لم يزل ينتقل من طور الى طور حتى وصل بالتدريج الى ما نراه من الصورة الحسنة ، والخلق القويم . ولم يبق دليلاً ولم يستند على برهان فيما زعمه من أن مرور الزمان علة لتبدل الصور ، وترقى الأنواع . ولما كشفت علوم الجيولوجيا (طبقات الارض) عن بطلان القول بقدم الأنواع ؛ رجع المتأخرون من الماديين عنه الى القول بالحدوث ، ثم اختلفوا في

بمحدثين ، الأول بحث تكون الجراثيم النباتية والحيوانية ، فذهب جماعة الى أن جميع الجراثيم على اختلاف أنواعها تكونت عند ما أخذ التهاب الأرض في التناقص ، ثم انقطع التكون بانقضاء ذلك الطور الأرضي وذهبت أخرى الى أن الجراثيم لم تنزل تتكون حتى اليوم ، خصوصا في خط الاستواء حيث تشتد الحرارة .

وعجزت كلتا الطائفتين عن بيان السبب لحياة تلك الجراثيم حياة نباتية أو حيوانية ، خصوصا بعد ما تبين لهم أن الحياة فاعل في بسائط الجراثيم ، موجب لانتانها ، حافظ لكونها ، وأن قوتها الغذائية هي التي تجعل غير الحي من الأجزاء حيا بالتغذية ، فاذا ضعفت الحياة ضعف تماسك البسائط وتجاذبها ، ثم صارت الى الانحلال .

وظن قوم منهم أن تلك الجراثيم كانت مع الأرض عند انفصالها عن كرة الشمس وهو ظن عجيب لا ينطبق على أصلهم من أن الأرض عند الانفصال كانت جذوة نار ملتهبة ، وكيف لم تحترق تلك الجراثيم ؟ ولم تمتص صورها في تلك النيران المستعرة ؟! والبحث الثاني من موضع اختلافهم ؛ صعود تلك الجراثيم من حضيض نقصها الى ذروة كالألها من حالة الخداج - النقص - الى ما نراه من الصور المتقنة ، والهياكل المحكمة ، والبني الكاملة ، فمنهم قائل بأن لكل نوع جرثومة خاصة به ، ولكل جرثومة طبيعة تميل بها إلا حركة تناسبها في الاطوار الحيوية ، وتجذب اليها ما يلائمها من الاجزاء الغير الحية ، ليصير جزءا لها بالتغذية ثم تجلوه بلباس نوعه وقد غفلوا عما أثبتته التحليل الكيماوي من عدم التفاوت بين نطفة الانسان ونطفة الثور والجمار مثلا وظهور تماثل النطف في العناصر البسيطة ، فما منشأ التخالف في طبائع الجراثيم مع تماثل عناصرها ؟ ومنهم ذاهب إلا أن جراثيم الانواع كافة خصوصا الحيوانية متماثلة في الجوهر ، متساوية في الحقيقة ، وليس بين الانواع تخالف جوهرى ، ولا انفصال ذاتي ، ومن هذا ذهب صاحب هذا القول الى جواز انتقال الجرثومة الواحدة من صورة نوعية الى صورة نوعية أخرى بمقتضى

الزمان والمساكن ، وحكم الحاجات والضرورات ، وقضاء سلطان القواسر الخارجية ورأس القائلين بهذا القول (دروين) وقد ألف كتاباً في بيان أن الانسان كان قرداً ثم عرض له التنقيح والتذهيب في صورته بالتدرج على تنال القرون المتطاولة ، وبتأثير الفواعل الطبيعية الخارجية حتى ارتقى الى برزخ (أروان أوتان) ثم ارتقى من تلك الصورة الى أول مراتب الانسان ، فكان صنف اليميم - ثم نم - وسائر الزوج ، ومن هناك عرج بعض أفراده الى أفق أعلى وأرفع من أفق الزنجين فكان الانسان القوقاسي .

وعلى زعم دروين هذا يمكن أن يصير البرغوث فيلا بمرور القرون وكر الدهور وأن ينقلب الفيل برغوثاً كذلك .

فإن سئل دروين عن الاشجار القائمة في غابات الهند ، والنباتات المتولدة فيها من أزمان بعيدة لا يحددها التاريخ الا ظناً ، وأصولها تضرب في بقعة واحدة وفروعها تذهب في هواء واحد ، وعروقها تسقي بماء واحد ، فالسبب في اختلاف كل منها عن الآخر في بنيتها ، وأشكال أوراقه ، وطوله ، وقصره ، وضيخامته ورقته ، وزهره ، وثمره ، وطعمه ، ورائحته ، وعمره ، فأى فاعل خارجي أثر فيها حتى خالف بينها مع وحدة المكان والماء والهواء ؟ أظن لاسبيل الى الجواب سوى العجز عنه .

وإن قيل له هذه أسماك بحيرة أورال ، وبحر كسين ، مع تشاركها في الماء كل والمشر ، وتسابقها في ميدان واحد ، نرى فيها اختلافاً نوعياً ، وتبايناً بعيداً في الألوان والأشكال والأعمال ، فالسبب في هذا التباين والتفاوت ، فلا أراه يلجأ في الجواب إلا الى الحصر - بالتحريك العجز عن الكلام - .

وهكذا لو عرضت عليه الحيوانات المختلفة البنى والصور ، والقوى والخواص وهي تعيش في منطقة واحدة ، ولانسلم حياتها في سائر المناطق . أو الحشرات المتباينة في الخلق ، المتباعدة في التركيب ، المتولدة في بقعة واحدة . ولا طاقة

لها على قطع المسافات البعيدة لتجلو الى تربة تخالف تربتها ، فماذا تكون حجته في
علة اختلافها ؟ كأنها تكون كسفاً لا كسفاً !

بل إذا قيل له : أى هاد هدى تلك الجرائم في قصصها وخدمها ، وأى مرشد
أرشدنا الى استتمام هذه الجوارح والاعضاء الظاهرة والباطنة ، ووضعها على مقتضى
الحكمة ، وإيداع كل منها قوة على حسبه ، ونوطها بكل قوة في عضو أداء وظيفة
ولإيفاء عمل حيوى بما عجز الحكيم عن درك سره ، ووقف علماء الفسولوجيا دون
الوصول الى تحديد منافعه ، وكيف صارت الضرورة العمياء معلماً لتلك الجرائم
وهادياً خبيراً لطرق جميع السمكالات الصورية والمعنوية ؟ لا ريب أنه يقع قبوع
القفذ ، وينتسكس بين أمواج الحيرة ، يدفعه ريب ، ويتلقاه شك ، الى أبد الآبدين .
وكأنى بهذا المسكين ومارماه في مجاهيل الأوهام ، ومهامه الخرافات ، الاقرب
المشابهة بين القرد والانسان ، وكأن ما أخذ به من التشبه الواهية الهية يشغل بها
نفسه عن آلام الحيرة ، وحسرات العماية ، وإنا نورد شيئاً مما تمسك به .

فن ذلك أن الخيل في سيبيريا وبلاد الروسية أطول وأغزر شعراً من الخيل
المتولدة في البلاد العربية ، وإنما علة ذلك الضرورة وعدمها .

ونقول إن السبب فيما ذكره هو عين السبب لسكثرة النبات وقتله في بقعة واحدة
لوقتین مختلفين حسب كثرة الأمطار وقتلها ، ووفور المياه وندورها ، أو علة التحاقه
ودقة العود في سكان البلاد الحارة ، والضخامة والسمن في أهل البلاد الباردة ، بما
يعتري البدن من كثرة التحلل في الحرارة ، وقتله في البرودة .

ومن واهياته ما كان يرويه (دروين) من أن جماعة كانوا يقطعون أذنان
كلابهم ، فلما واظبوا على عملهم هذا قرونًا صارت الكلاب تولد بلا أذنان . كأنه
يقول : حيث لم تعد للذنب حاجة كفت الطبيعة عن هبته . وهل صمت أذن هذا
المسكين عن سماع خبر العبرانيين والعرب وما يجرونه من الختان أوفان السنين

لا يولد مولود حتى يمتحن ، والى الآن لم يولد واحد منهم محتونا إلا لاعجاز ١١٩
ولما ظهر جماعة من متأخري الماديين فسادما تمسك به أسلافهم ، نبذوا آراءهم
وأخذوا طريقا جديدة فقالوا : ليس من الممكن أن تكون المادة العارية عن الشعور
مصدرا لهذا النظام المتقن ، والهيئة البديعة ، والأشكال المعجبة ، والصور الانيقة ؟
وغير ذلك مما خفى سره وظهر أثره . ولكن العلة في نظام السكون علوية وسفلية
والموجب لاختلاف الصور ، والمقدر لأشكالها وأطوارها ، وما يلزم لبقائها تتركب
من ثلاثة أشياء : (متبير) و (فورس) و (اتليجانس) أى مادة ، وقوة ، وإدراك
وظنوا أن المادة بما لها من القوة ، وما يلابسها من الإدراك ، تجلت وتجلي بهذه
الأشكال والهيئات ، وعندما تظهر بصور الأجساد الحية - نباتية كانت أو حيوانية -
تراعى بما يلابسها من الشعور ما يلزم لبقاء الشخص وحفظ النوع ، فتنشئ لها
من الأعضاء والآلات ما يفي بأداء الوظائف الشخصية والنوعية ، مع الالتفات
الى الأزمنة والأمكنة ، والفصول السنوية . هذا أنفس ما وجدوا من حلية لمذهبهم
العاطل ، بعد ما دخلوا ألف جحر ، وخرجوا من ألف نفق ، وما هو بأقرب الى
العقل من سائر أوهامهم ، ولا هو بالمنطبق على سائر أصولهم ، فانهم يرون - كسائر
المتأخرين - أن الأجسام مركبة من الأجزاء الديمقراطيةية ، ولا ينطبق رأيهم الجديد
في علة النظام الكونى على رأيهم في تركيب الأجسام .

وذلك لأنه يلزم على القول بشعور المادة أن يكون لكل جزء ديمقراطيسى شعور
خاص ، كما يلزم أن تكون له قوة خاصة ينفصل بهما عن سائر الأجزاء ، إذ لا يمكن
قيام العرض الواحد وحدة شخصية بمحلين ، فلا يقوم علم واحد بجزئين ، ولا بأجزاء
وبعد هذا : فأنى سائلهم كيف أطلع كل جزء من أجزاء المادة مع انفصالها على
مقاصد سائر الأجزاء ، وبأية آلة أفهم كل منها باقيا ما ينويه من مطلبه ، وأى
برلمان (مجلس الشورى) أو أى سنات (مجلس الشيوخ) عقدت للتشاور في إبداع

هذه المكونات العالية التركيب ، البديعة التأليف ، وأنى لهذه الأجزاء أن تعلم وهي في بيضة العصفور ضرورة ظهورها في هيئة طير يأكل الجيوب ، فمن الواجب أن يكون له منقار وحوصلة لحاجته في حياته اليهما ، وإذا كانت في بيض الشاهين والعقاب فن أين لها العلم بأنهما تقوم طيرا يأكل اللحوم فلا بد له من منسر ومخلاب يصل بهما في الصيد لاقتناص ما يحتاج اليه من حيوان ، ثم ينسر لحمه ليا كفه .
ومن أين لها أن تعلم وهي في مشيمة السكبة أنها ستكون على صورة أنثى الجرو ثم تكبر حتى تبلغ حد الإدراك ، ثم تكون حبل لوقت من الأوقات ، وقد تلد أجراء متعددة في زمن واحد ، فهي تهين لطيها حملات كثيرة على حسب حاجة أجرائها .

ومن لهذه الأجزاء المتبددة أن تدرك حاجة الحيوانات الى القلب والرئة والمخ والنخاع وسائر الأعضاء والجوارح ، لو عقلت هذه الطائفة مارى اليه سؤال هذا لا ارتكست في أفكارها ، وانقلبت الى تيهور من الحيرة لا ترفع منه رأسا ، ولا تحير جوابا ، الى أن يتخبطهم شيطان الجهل ، فيقولون ولا يعون : إن لسلك جزء من هذه الأجزاء الديمقراطية علما بجميع ما كان وما يكون ، وبجميع ما في العالم من الأجزاء علويا كان أو سفليا ، ولسلك منها حرص على مراعاة نظام السكون وأركانه فيتحرك كل منها للانضمام الى الآخر على وفق ما يريد من المصلحة ، حتى لا يقع الخلل في شيء من نظم العالم عاما كان أو خاصا ، وبهذا قام العالم على ناموس واحد !
فان أفضت بهم العماية الى هذا القول ، قلنا أولا يلزمهم أن كل جزء ديمقراطيى يحتوى على أبعاد غير متناهية ، وهو في صغره لا يدرك ولا بالمكروسكوب (النظارة المعظمة) وبيان اللزوم أن العلم عندهم إنما هو بارتسام الصور المعلومة في ذات العالم ، وهو مادي في موضوعنا فكل صورة معلومة تأخذ منه بعدا بمقدارها والصور العلمية على هذا الزعم غير متناهية ، وكلها يرتسم في مادة الجزء العالم فيكون

في كل جزء. وهو متناه الى غاية الصور أبعاد غير متناهية للصور الغير متناهية ، وهذا مما تبطله بداهة العقل .

وثانياً إن كانت الأجزاء الديمقراطية بالغة من العلم هذا المبلغ ، وهي من القوة على نحوه إذ لا قوة إلا بها - على رأيهم - فلم لم تبلغ الكائنات - وهي هي - غاية ما يمكن لها من الكمال ولم تنزل بذواتها الآلام والأوصاب ، ثم تعاني العناء في احتلالها أو التخلص منها ، ولم قصر إدراك الانسان وإدراك سائر الحيوانات وهو عين إدراك هذه الأجزاء على هذا المذهب ، عن اكتناه حالها أنفسها ، وعجز عن حفظ حياتها ؟! وأعجب من هذا أن المتأخرين من الماديين بعد ما صافحوا كل خرافة لتأييد مذهبهم ؛ حاصوا الى الحيرة في بعض الأمور ، فلم يستطيعوا تطبيقها على أصل من أصولهم الفاسدة ، لأصل الطبع ، ولأصل الشعور . وذلك عند مارأوا شيئين يختلفان في الخواص ، وعناصرهما تظهر عند التحليل متباعدة ، ولم يجدوا المحيص عن الوقفة بعد ما قدموا من الترهات إلا بالحكم على الأجزاء الديمقراطية رجساً بالغيب بأنها ذوات أشكال مختلفة ، وعلى حسب الاختلاف في الأشكال والأوضاع كان الاختلاف في الآثار والخواص .

وبالجملة فهذه عشرة مذاهب اختلف اليها منكروا الالهية ، الزاعمون أن لا وجود للصانع الأقدس ، وهم المعروفون بين شيعهم أو عند الالهيين بالطبيعيين والماديين ، والدهريين ، وإن شئت قلت نيشريين ، وناثور اليسمين ، وماتير اليسمين وسأتى على تفصيل مذاهبهم ودحض حججها بالبيانات العقلية في رسالة أوسع من هذه إن شاء الله تعالى (١)

ولا يظن ظان أنا نقصد من مقالنا هذا تشنيعاً بهؤلاء (البياجوات) الهنديين

(١) وقد حال الموت دونه رحمه الله وبين تأليف هذه الرسالة المذكورة . ولو مد الله في حياته لآتى بالعجب العجاب .

(البياجوا اسم إيطالياني اشتهر في الهند لمن يقلد الماهر في اللعب بحركات غير منسقة لاضحاك الناظرين ويعبر عنه في العربية بالخلايس ، وأصله الشيء لانظام له ، والطبيعيون في الهند يمثلون أحوال الدهريين في أوروبا تمثيلاً مضحكاً) كلا إن هؤلاء لانصيب لهم من العلم ، بل ولا من الانسانية ، فهم بعيدون من مواقع الخطاب ، ساقطون عن منزلة اللوم والاعتراض ، نعم لو أريد لإنشاء تياترو (ملهى) أو (كطبتلى) (نوع من اللعب يشخصون فيه أحوال ملوك الهند الأقدمين) لتمثل فيه أحوال الأمم المتمدنة ؛ مست الحاجة الى هؤلاء لاقامة هذه الألعاب ، وإنما غرضنا الاصلى إعلان الحق ، وإظهار الواقع . والآن نعتمد الشروع في بيان المفسد التي جلبها الماديون (النيشريون) على نظام المدنية والمضار التي تضعضع لها بناء الهيئة الاجتماعية ، وكان منشؤها فشو أفكارهم .

مظاهر الماديين ومقاصدهم

تخالفت مظاهر الماديين في الأمم والأجيال المختلفة، فتخالفت . أسماءهم ، فكانوا تارة يسمون أنفسهم بسماة الحكماء ، وينتحلون الحكيم لقباً لأفرادهم ، وأحياناً كانوا يتسمون بسماة دفع الظلم ورفع الجور ، وكثيراً ماتقدموا لمسارح الاظهار تحت لباس عراف الاسرار ، وكشفة الحقائق والرموز ، والواصلين من كل ظاهر الى باطنه ، ومن كل بارز الى كامنه ، وقد كانوا يظهرون في أوقات بدعوي السعي في تطهير الأذهان من الخرافات وتنوير العقول بحقائق المعلومات ، وتارات يتمثلون في صور محبي الفقراء ، وحماة الضعفاء ، وطلاب خير المساكين وكثيراً ماتجرؤوا على دعوى النبوة ولكن لاعلى سنن سائر المتنبئين الكذبة كل ذلك توسلاً لاجراء مقاصدهم ، وترويج مفسادهم .

كيفما ظهر الماديون ، وفي أى صورة تمثلوا ، وبين أى قوم نجموا ، كانوا صدمة شديدة على بناء قومهم ، وصاعقة محتاجة لثمار أمهم ، وصدعا متفاقا في بنية جيلهم

يمتتون القلوب الحية بأقوالهم ، وينفثون السم في الأرواح بأرائهم ، ويرزعزون
راسخ النظام بمساعيمهم ، فما رزمت بهم أمة ، ولا منى بشرهم جيل ، إلا انتكث قتله
وسقط عرشه ، وتبددت آحاد الأمة ، وفقدت قوام وجودها .

كان الانسان ظلوماً جهولاً . خلق الانسان ملوعاً ، اذامسه الشر جزوعاً ، واذا
مسه الخير منوعاً . جبل الانسان على الحرص وكأنه منهوم لشرب الدماء ، لم
يحرم الانسان من لطف مبدعه ، فكما أبدعه ألزم الدين وجوده فتمسك الناس منه
بأصول ، وانطبعوا به على خصال ، توارثها الأبناء عن الآباء في قرون بعد قرون
ومهما غيروا وبدلوا كانت بقايا ما ورثوه لا تزال تشرق على عقولهم بأنوار من المعرفة
يهتدون بها الى سعادتهم ، ويقيرون في ضوئها أساس مدينتهم ، ولم يبطل أثرها في
تعديل أخلاقهم ، وكف أيديهم عن التطاول الى الشرور والمفاسد وبهذا كان
للأقدمين من أهل القرون الأولى ما كان لهم من نوع الثبات والبقاء .

وطائفة النيشرية كلما ظهرت في أمة سعت في قلع تلك الأصول ، وإفساد تلك
الخصال ، حتى اذا لمع لها بارق من النجاح وهت أركان الأمة ، وانهارت الى هؤلا .
الاضمحلال والعدم ، وهذه الطائفة هي الآن كما كانت تسلك منهج أسلافها
الأوليين وإنما نوضح ذلك بمحل من البيان .

مأفاد الدين من العقائد والخصال

أكسب الدين عقول البشر ثلاث عقائد ؛ وأودع نفوسهم ثلاث خصال كل
منها ركن لوجود الأمم ، وعماد لبناء هويتها الاجتماعية ، وأساس محكم لمدينتها . وفي
كل منها سائق يبحث الشعوب والقبائل على التقدم لغايات الكمال والرقى الى ذرى
السعادة ، ومن كل واحدة وازع قوى يباعد النفوس عن الشر ، ويزعها عن مفارقة
الفساد ، ويصدها عن مقاربة ما يبدها ويبددها .

(العقيدة الأولى) التصديق بأن الانسان ملك أرضى وهو أشرف المخلوقات

(والثانية) يقين كل ذى دين بان أمته أشرف الأمم وكل مخالف له فعلى ضلال وباطل (والثالثة) جزمه (بأن الانسان إنما ورد هذه الحياة الدنيا لاستحصال كمال هيئته للمروج الى عالم أرفع وأوسع من هذا العالم الدنيوى ، والانتقال من دار ضيقة الساحات كثيرة المسكروحات ، جديرة أن تسمى بيت الاحزان ، وقرار الآلام الى دار فسيحة الساحات ، خالية من المؤلمات ، لانقضى سعادتها ، ولا تنتهى مدتها .

لا يغفل العاقل عما يتبع هذه العقائد الثلاث من الآثار الجليلة فى الاجتماع البشرى ، والمنافع الجمة فى المدنية الصحيحة ، وما يعود منها بالاصلاح على روابط الأمم ، وما لكل واحدة من الدخلى فى بقاء النوع والميل بافراده لأن يعيش كل منهم مع الآخر بالمسالمة والمودعة ، والاخذ بهمم الأمم للصعود فى مراقى الكمال النفسى والعقلى .

من البين أن لكل عقيدة لوازم وخواص لايزالها ، فما يلزم الاعتقاد بأن الانسان أشرف المخلوقات ترفع المعتقد بحكم الضرورة عن الحصول البيمية واستنكافه عن ملابسة الصفات الحيوانية ، ولا ريب أنه كلما قوى الاعتقاد اشتد به النفور من مخالطة الحيوانات فى صفاتها ، وكلما اشتد هذا النفور سما بروحه الى العالم العقلى ، وكلما سما عقله أوفى على المدنية وأخذ منها بأوفر الحظوظ . حتى قد ينتهى به الحال الى أن يكون واحداً من أهل المدنية الفاضلة ينجى مع إخوانه الواصلين معه الى درجته على قواعد المحبة ، وأصول العدالة ، وتلك نهاية السعادة الانسانية فى الدنيا ، وغاية مايسعى اليه العقلاء والحكماء فيها .

فهذه العقيدة أعظم صارف للانسان عن مضارعة الحر الوحشية فى معيشتها والثيران البرية فى حالتها ، ومضاربة البهائم السائمة ، والدواب الهاملة ، والهوام الراشحة ، لا تستطيع دفع مضرة ، ولا التقية من عادية ، ولا تهتدى طريقاً لحفظ

حياتها وتقضى آجالها في دهشة الفزع ، ووحشة الانفراد .
 هذه العقيدة أشد زاجر لآبناء الانسان عن التقاطع المؤذي لافتراس بعضهم
 بعضا كما يقع بين الاسود الكاسرة ، والوحوش الضارية ، والكلاب العاقرة ، وأشد
 مانع يدفع صاحبها عن مشاكلة الحيوانات من خصائص الصفات وهذه العقيدة
 أحجى حاد للفكر في حركاته ، وأنجح داع للعقل في استعمال قوته ، وأقوى فاعل
 في تهذيب النفوس ، وتطهيرها من دنس الرذائل .

إن شئت فارم بنظر العقل الى قوم لا يعتقدون هذا الاعتقاد ، بل يظنون أن
 الانسان حيوان كسائر الحيوانات ، ثم تبصر ماذا يصدر عنهم من ضروب الدنيايا
 والرذائل ، والى أى حد تصل بهم الشرور ، وبأى منزلة من الدناية تكون نفوسهم
 وكيف أن السقوط الى الحيوانية يقف بعقولهم عن الحركات الفكرية .

ومن خواص يقين الامة بأنها أشرف الأمم وجميع من يخالفها على الباطل
 أن ينهض آحادها لمكاثرة الأمم في مفاخرها ، ومساماتها في مجدها ، ومساقبتها
 في شرائف الأمور ، وفضائل الصفات ، وأن يتفق جميعها على الرغبة في فوت
 جميع الأمم والتقدم عليها في المزايا الانسانية ، عقلية كانت أو نفسية ، ومعاشية
 كانت أو معادية ، وتأبى نفس كل واحد عن إعطاء الدنية والرضى بالضم لنفسه ، أو
 لأحد من بني أمته ، ولا يسره أن يرى شيئاً من العزة أو مقاما من الشرف لقوم
 من الاقوام حتى يطلب لآتمته أفضله وأعلاه . ذلك أنه بهذا الاعتقاد يرى أبناء
 قومه أليق وأجدر بكل ما يعد شرفاً إنسانياً .

فان جارت صروف الدهر على قومه فأضرعتهم ، أو ثلثت مجدهم ، أو سلبتهم
 مزية من مزايا الفضل ، لم تستقر له راحه ولم تنشأ له حمية ولم يسكن له جيشان فهو
 يعضى حياته في علاج ما ألم بقومه حتى يأسوه أو يموت في أساه .
 فهذه العقيدة أقوى دافع للآمم الى التسابق لغايات المدنية ، وأمضى الأسباب

بها الى طلب العلوم ، والتوسع في الفنون ، والابداع في الصنائع ، وأنها لا تبلغ في سوق الأمم الى منازل العلاء ، ومقاوم الشرف ؛ من غالب قاسر ، ومستبد قاهر عادل .

وإن أردت فالمح بعقلك حال قوم فقدوا هذا اليقين ، ماذا تجد من فنور في حركات آحادهم نحو المعالي ، وماذا ترى من قصور في همهم عن درك الفضائل ، وماذا ينزل بقواهم من الضعف ، وماذا يحل بديارهم من الفقر والمسكنة ، والى أى هوة يسقطون من الذلة والحران خصوصاً اذا بغى عليهم الجهل فظنوا أنهم أدنى من سائر الملل كطائفة (الدهير) و (مانك) .

ومن مقتضيات الجزم بأن الانسان ما ورد هذا العالم إلا ليتزود منه كمالا يعرج به الى عالم أرفع ، ويرتحل به الى دار أوسع ، وجناب أرفع . ليرجع واديه وتجنح حليه ؛ أن من أشربت هذه العقيدة قلبه ينبعث بحكمها ، وينساق بحايتها لاضاءة عقله بالعلوم الحقة ، والمعارف الصافية ، خشية أن يهبط به الجهل الى نقص يحول دون مطلبه ، ثم ينصرف همه لابرار ما أودع فيه من القوة السامية ، والمدارك العقلية ، والخواص الجليلة ، باستعمالها فيما خلقت له . فينجلي كماله من عالم الكون الى عالم الظهور ، ويرتقى من درجة القوة الى مكانة الفعل ، فهو ينفق ساعاته في تهذيب نفسه وتطهيرها من دنس الرذائل ، ولا يناله التقصير في تقويم ملكاته النفسية ، وينزع لكسب المال من الوجوه المشروعة ، متكبها عن طرق الخيانة ووسائل الكذب والحيلة ، معرضاً عن أبواب الرشوة ، مترفعاً عن الملق الكلابي والخداع الثعلبي ، ثم ينفق ما كسب في الوجه الذي يليق ، وعلى الوجه الذي ينبغي وبالقدر الذي ينبغي ، لا يأتى فيه باطلا ، ولا يغفل حقاً عاماً أو خاصاً .

فهذه العقيدة أجكم مرشد ، وأهدى قائد للانسان الى المدنية الثابتة المؤسسة على المعارف الحقة ، والأخلاق الفاضلة . وهذا الاعتقاد أشد ركن لقوام الهيئة الاجتماعية

التي لا عماد لها إلا معرفة كل واحد حقوقه وحقوق غيره عليه ، والقيام على صراط العدل المستقيم ، هذا الاعتقاد أنجم الذرائع لتوثيق الرابطة بين الأمم ، إذ لا عقد لها إلا مراعاة الصدق ، والخضوع لسلطان العدل ، في الوقوف عند حدود المعاملات هذا الاعتقاد نفحة من روح الرحمة الازيله تهب على القلوب ببرد الهدوء والمسالمه فان المسالمه ثمرة العدل والمحبة ، والعدل والمحبة زهر الاخلاق والسجايا الحسنه وهى غراس تلك العقيدة التي تحمى بصاحبها عن مضارب الشرور ، وتنجيه من متاعه الشقاء وتعاसे الجد ، وترفعه الى غرف المدينة الفاضلة ، وتجلسه على كرسي السعادة .

وقد يسهل عليك أن تتخيل جيلا من الناس حرم هذه العقيدة ، فكم يبدو لك فيه من شقاق ، وكذب ، ونفاق ، وحيل ، وخداع ، ورشوة ، واختلاس ؟ وكم يغشى نظرك من مشاهد الحرص ، والشره ، والغدر ، والاعتيال ، وهضم الحقوق والجدال ، والجلاد ؟ وكم تحس فيه من جفاء للعلم ، وعشوة عن نور المعرفة ؟ !

الخصال الثلاثة

وأما الخصال الثلاثة التي توارثتها الأمم من تاريخ قد لا يحد قدماء وإنما طبعها في نفوسهم طابع الدين : (فأحداها خصلة الحياة) وهو انفعال النفس من إتيان ما يجلب اللاتمة ، وينجى عليها بالتوبيخ ، وتأثرها من التلبس بما يعد عند الناس نقصاً ، وفي الحق أن يقال إن تأثير هذه الخلة في حفظ نظام الجمعية البشرية ، وكف النفوس عن ارتكاب الشنائع ، أشد من تأثير مئين من القوانين ، وآلاف من الشرط والمحتسبين . فان النفوس اذا مزقت حجاب الحياة ، وسقطت الى حضيض الحسة والدنايه ، ولم تبال بما يصدر عنها من الاعمال : فأي عقاب يردعها عن المفساد التي تخل بنظام الاجتماع سوى القتل ؟ وقد لاحظ ذلك (سولون) حكيم اليونان حيث جعل القتل جزاء كل عمل قبيح ، حتى الكذبة الواحدة .

وخلة الحياة يلازمها شرف النفس ، وهو مما تدور عليه دائرة المعاملات

وتصل به سلسلة النظام ، وهو مناط صحة العقول والتزام أحكامها ، وهو معظم الوفاء بالعهود ، وهو رأس مال الثقة بالانسان في قوله وعمله ، وشيمة الحياء هي بعينها شيمة الاباء ، وسجية الغيرة ، وإنما تختلف أسماؤها باختلاف جهاتها ، وآثارها في ردع النفس عن شيء ، أو حملها على عمل ، والاباء والغيرة هما مبعث حركات الامم والشعوب ، لاستفادة العلوم والمعارف ، وتسنم قم الشرف والرفعة ، وتقوية الشركة ، وبسط جناح العظمة ، وتوفير مواد الغنى والثروة .

وكل أمة فقدت الغيرة والاباء حرمت الترقى ، وإن تسنى لها من أسبابه ما تسنى فهي تعطي الدنية ، ولا تأنف من الخسة وتضرب عليها الذلة والمسكنة حتى ينقض أجلها من الوجود ، ملسكة الحياء تنتهى اليها روابط الألفة بين آحاد الأمة في معاشراتهم ومخالطاتهم ، فان حبال الألفة انما يحكمها حفظ الحقوق ، والوقوف عند الحقوق ولا يكون ذلك إلا بهذه الملكة الكريمة ، هذه سجية تزين صاحبها بالآداب وتفر به عن الشهوات البهيمية ، وتفيض روح الاعتدال على حركاته ، وسكناته وجميع أعماله هذا هو الخلق الفرد الذى ينهض بصاحبه لمجاعة أرباب الفضائل ويتجافى به عن مضاجع النقائص ، ويأنف به عن الرضاء بالجهل والغباوة ، أو الضعة والضراعة ، هذا الوصف الكريم هو منبت الصدق ، ومغرس الأمانة وهما معه فى قرن ، هذا الوصف هو آلة المعلمين والقائمين على التربية ، والدعاة لمسكارم الاخلاق ، والمولعين بترقية الفضائل صورية ومعنوية . يستعملونها فى نصائحهم ، يذكرون بها الغافل ، ويحرضون الناقل ، ويوقظون النائم ، ويقعدون القائم .

ألا ترى المعلم الحكيم كيف يعظ تلميذه بقوله ألا تستحى من تقديم قرينك عليك وتخلفك عنه ؟ فان لم تكن هذه الخصلة فلا أثر للتوبيخ ، ولا نفع للتقريع ولا نجاح للدعوة ، فانكشف مما بيننا أن هذه الخلة مصدر لجميع الطيبات ، ومرجع لكل فضيلة ، وسلم لكل ترقى .

ويمكن لنا أن نفرض قوما هجر الحياء نفوسهم ، فاذا نرى فيهم سوى المجاهرة بالفحشاء ، والمنافسة في المنكر ، وشرس الطباع ، وسوء الاخلاق ، والاخلاق الى دنيا الامور ، وسفاسف الشؤون ، وكفى بمشهدهم شناعة أن نرى تغلب الشهوات البهيمية عليهم ، وتملك الصفات الحيوانية لارادتهم ، وتسلبها على أفعالهم (والخصلة الثانية الامانة) من المعلوم الجلي أن بقاء النوع الانساني قائم بالمعاملات والمعاوضات في منافع الاعمال ، وروح المعاملة والمعاوضة إنما هي الامانة ، فان فسدت الامانة بين المتعاملين بطلت صلوات المعاملة ، وانبرتت حبال المعاوضة ، فاختل نظام المعيشة ، وأفضى ذلك بنوع الانسان الى الفناء العاجل .

ثم من البين أن الأمم في رفايتها ، والشعوب في راحتها ، وانتظام أمر معيشتها محتاجة الى الحكومة بأى أنواعها ، إما جمهورية ، أو ملكية مشروطة ، أو ملكية مقيدة ، والحكومة في أى صورها لا تقوم إلا برجال يلون ضرورياً من الاعمال فمنهم حراس على حدود المملكة يحمونها من عدوان الأجانب عليها ، ويدافعون الولوج في نفورها ، وحفظة في داخل البلاد يأخذون على أيدي السفهاء ممن يهتك ستر الحياء ، ويميل الى الاعتقاد من فتك أو سلب أو نحوهما ، ومنهم حملة الشرع وعرفاء القانون ، يجلسون على منصات الاحكام لفصل الخصومات ، والحكم في المنازعات ، ومنهم أهل جباية الاموال يحصلون من الرعايا ما فرضت عليهم الحكومة من خراج ، مع مراعاة قانونها في ذلك ثم يستحفظون ما يحصلون في خزائن المملكة ، وهي خزائن الرعايا في الحقيقة ، وإن كانت مفاتيحها بأيدي خزنتها ومنهم من يتولى صرف هذه الاموال في المنافع العامة للرعية ، مع مراعاة الاقتصاد والحكمة ، كانشاء المدارس والمكاتب ، وتمييد الطرق ، وبناء القناطر ، وإقامة الجسور ، وإعداد المستشفيات . ويؤدى أرزاق سائر العاملين في شؤون الحكومة من الحراس ، والحفظة ، وقضاة العدل ، وغيرهم حسبما عين لهم . وهذه الطبقات

من رجال الحكومة الموالين على أعمالها ؛ إنما تؤدي كل طبقة منها عملها المتوط بها بحكم الامانة ، فان خربت امانة أولئك الرجال - وهم أركان الدولة - سقط بناء السلطة ، وسلب الأمن ، وراحت الراحة من بين الرعايا كافة ، وضاعت حقوق المحكومين ، وفشا فيهم القتل والتناهب ، ووعرت طرق التجارة ، وفتحت عليهم أبواب الفقر والفاقة ، وخوت خزائن الحكومة ، وعميت على الدولة سبل النجاح فان حزبها أمرسدت عليها نوافذ النجاة . ولا ريب أن قوماً يساسون بحكومة خائنة إما أن يقرضوا بالفساد ، وإما أن يأخذهم جبروت أمة أجنبية عنهم يسومونهم خسفاً ، ويستبدون فيهم عسفاً ، فيذوقون من مرارة العبودية ما هو أشد من مرارة الانقراض والزوال :

ومن الظاهر أن استعلاء قوم على آخرين إنما يكون باتحاد آحاد العالمين والتسام بعضهم ببعض ، حتى يكون كل منهم لبنية قومه كالعضو للبدن ، ولن يكون هذا الاتحاد حتى تكون الامانة قد ملكت قيادهم ، وعمت بالحكم أفرادهم .
فقد كشف الحق أن الامانة دعامة بقاء الانسان ، ومستقر أساس الحكومات وباسط ظلال الأمن والراحة ، ورافع أبنية العز والسلطان ، وروح العدالة وجسدها ، ولا يكون شيء من ذلك بدونها .

واليك الاختيار في فرض أمة عطلت نفوسها من حلية هذه الخلة الجليلة ، فلا تجد فيها إلا آفات جائحة ، ورزايا قاتلة ، وبلايا مهلكة ، وفقراً معوزاً ، وذلًا معجزاً . ثم لا تلبث بعد هذا كله أن تبلعها بلايع العدم ، وتلتهمها أمهات اللهم .
(الخصلة الثالثة الصدق) الانسان كثير الحاجات ، غير معدود الضرورات ، وكل ما يسد حاجاته ، ويدفع ضروراته ، وراء ستار الخفاء محبوب ، وتحت حجاب الغيب مكنون . قذف بالانسان من غيب يجعله ، الى ظهور لا يعرفه ، فقام في بدأ نشأته في زاوية عماء لا يذكر اسماً ، ولا يعهد رسماً ، هذا الانسان على ضعفه كأنما

أحفظ الايمان قبل وجوده فأرصدت له القتال وهيات له النصال ، فله في كل
 مناة منها كامن بليسة ، وفي كل حنو رابضة رزية ، وكل أفق سهمه في قسي
 الادوار الزمنية ليصيب مقاتل الانسان .

منح الانسان خمسة مشاعر: السمع ، والبصر ، والذوق ، واللبس ، والشم . ولكن
 لاغناء بها في هدايته لا تقرب حاجاته ، وإرشاده لدفع ما خف من ضروراته . فأحجى
 أن لا كفاء لها في استطلاع مكان البلايا ، واستكشاف مخاني الرزايا ، ليأخذ حذره
 ويحترز أمره ، فهو في حاجة كل الحاجة للاستعانة بمشاعر أمثاله من بني جنسه
 والاستهداء بمعارفهم ، ليتفادى بهدايتهم من بعض لاسعات المصائب ، ويصيب
 من الرزق ما فيه قوام معيشته ، وسداد عوزه ، والاستهداء وإنما يكون بالاستخبار
 ولا تتم فائدة الخبر في الهداية إلا أن يكون من مصدر صدق يحدث عن موجود
 ويحكي عن مشهود ، وإلا فما الهداية في خبر لا واقع له .

نعم الكاذب يري البعيد قريبا ، والقريب بعيدا ، ويظهر النافع في صورة الضار
 والضار في صورة النافع ، فهو رسول الجهالة ، وبعيث الغواية ، وظهير الشقاء
 وتصير البلا .

فعلى ما تقدم تكون صفة الصدق ركنا ركينا للوجود الانساني ، وعمادا للبقاء
 الشخصي والنوعي ، وموصل العلاقات الاجتماعية بين آحاد الشعوب ولا تتحقق ألفة
 مدنية أو منزلية بدونه .

وانظر فيما إذا فقدت أمة خلة الصدق كيف ينيخ الشقاء بها وراحله ، وينفذ سوء
 البخت فيها عوامله ، وكيف ينتثر نظامها ، ويفسد الثامها ؟ !

تفصيل غايات النيشريين

هو لاء ججدة الالهية في اى امة ، وبأى لون ظهوروا . كانوا يسعون - ولايزالون يسعون - لقلع أساس هذا القصر المسدس الشكل ؛ قصر السعادة الانسانية القائم بستة جدران ، ثلاث عقائد ، وثلاث خصال . أعاصير أفكارهم تدكدك هذا البناء الرفيع وتلقى بهذا النوع الضعيف الى عراء الشقاء ، وتهبط به من عرش المدينة الانسانية الى أرض الوحشة الحيوانية .

وضعوا مذاهبهم على بطلان الاثديان كافة ، وعدوها أوهاماً باطلة ، ومجموعات وضعية ، وبنوا على هذا أن لاحق لملء من الملل أن تدعي لنفسها شرفاً على سائر الملل اعتماداً على أصول دينها ، بل الا ليق بها - على رأيهم - أن تعتقد أنها ليست أولى من غيرها بفضيلة ، ولا أجدر بهزية ، ولا يخفي ما يتبع هذا الرأى الفاسد من فتور المهم ، وركود الحركات الارادية عن قصد المعالى كما تقدم بيانه .

قالوا إن الانسان فى المنزلة كسائر الحيوانات ، وليس له من المزايا ما يرتفع به على البهائم ، بل هو أخس منها خلقة ، وأذنى فطرة ، فسهلوا بذلك على الناس إتيان القبائح ، وهونوا عليهم افتراء المنكرات ، ومهدوا لهم طرق البهيمية ، ورفعوا عنهم معاييب العدوان .

ذهبوا الى أنه لاحياة للانسان بعد هذه الحياة ، وأنه لا يختلف عن النباتات الارضية تنبت فى الربيع مثلاً ، وتيبس فى الصيف ، ثم تعود تراباً . والسعيد من يستوفى فى هذه الحياة حظوظه من الشهوات البهيمية . وبهذا الرأى الفاسد أطلقوا النفوس من قيد التأثم ، ودفعوها الى أنواع العدوان من قتل ، وسلب ، وهتك عرض ، ويسروا لها الغدر ، والخيانة ، وحملوها على فعل كل خبيثة ، والوقوع فى كل رذيلة ، وأعرضوا بالعقول عن كسب الكمال البشرى ، وأعدموها الرغبة فى كشف الحقائق ، وتعرف أسرار الطبيعة .

هذا الوفاء المهلك ، والطاعون المحتاح - أعنى النيشريين - لا يصيب أهل الحياء لا امتناع نفوسهم عن مشاكلة البهائم ، وإبتاعن وضع أقدامها في منازل الحيوانية المحضنة ، وأنفتها من الاشتراك في الاموال والابضاع ، وإباحة التناول مما يختص بالغير منها .

ولهذا عمد هؤلاء المفسدون الى خلة الحياء ايزيلوها أو يضعفوها ؛ فقالوا إن الحياء من ضعف النفس وتقصها ، فاذا قويت النفوس وتم لها كمالها ؛ لم يفلتها الحياء في عمل ما كاتنا ما كان ، فمن الواجب الطبيعي - في زعمهم - أن يسعى الانسان في معالجة هذا الضعف (الحياء) ليفوز بكال القوة (قلة الحياء) وبهذه الدسيسة يخلطون بين الانسان والهمل ، ويمزجونه بالهاجمات من النعم ، ويوحدون بين حاله وتصرفه وبين حال السواب والانعام من إباحة كل عمل ، والاشترك في كل شهوة ، ويهونون عليه إتيان ماتانيه في نزواتها .

ولا يخفي أن الأمانة والصدق - ومنشأهما في النفس الانسانية - أمران ؛ أحدهما الايمان بيوم الجزاء ، وملسكة الحياء (١) وقد ظهر أن من أصول مذاهب هذه الطائفة إبطال تلك العقيدة ، ومحو هذه الملسكة الكريمة ، فيكون تأثير آرائهم في إذاعة الخيانة وترويج الكذب ؛ أشد من تأثير دعوة داع الى نفس الخيانة والكذب ، فان منشأ الفضيلتين - مادام في النفس أثر منه - يبعثها على مقاومة الداعي الى الرذيلتين ، فيضعف أثر دعوته . والمؤمن بالجزاء المبرقع بالحياء ، إن سقط في الخيانة أو الكذب مرة وجد من نفسه زاجراً عنها مرة أخرى ، أما لو محى الايمان والحياء - وهما منشأ الصدق والأمانة - من لوح النفس ؛ فلا يبقى منها وازع عن ارتكاب ضديهما .

ويزيد في شناعة ما ذهبوا اليه أن في أصولهم الاباحة والاشترك المطلقين فيزعمون أن جميع المشتبهات حق شائع ، والاختصاص بشيء منها يعد اغتصاباً

(١) ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « الحياء شعبة من الايمان »

كما سيذكر - فلم يبق للخيانة محل . فان الاحتيال لنيل الحق لا يعد خيانة ، ومثلها الكذب . فانه يكون وسيلة للوصول الى حق معتصب - في زعمهم - فلا يعد ارتكابا للقبيح ، لاجرم أن آراء هذه الطائفة مروجة للخianات ، باعثة على افتراء الاكاذيب ، حاملة بالانفس على ارتكاب الشرور والرزائل ، وإتيان الدنيا والخبائث ، وأن أمة تفشو فيها هذه الحوالم الجذيرة بالفناء ، جالية عن باحة البقاء . فقد انكشف الحفاء بما بيننا عن فساد مشارب هذه الطائفة ، وعن وجه سوقها الامم والشعوب الى مهاوي الهلكة والدمار .

وأقول إنها من أشد الاعداء للنوع الانساني كافة ، فان ماهاج في رؤس أبنائها من المايلخوليا يخيل لهم أن الاصلاح فيما يزعمون ، وبصور لهم حقيقة النجاح في صور ما يتوهمون ، فيبعثهم هذا الفساد لا يقاد النار في بيت هذا النوع الضعيف ليحوا بذلك رسمه من لوح الوجود ، فان من الظاهر عند كل ذى إدراك أن أفراد هذا النوع يحتاجون في بقائهم الى عدة صنائع - لو لم تكن أهلكتهم حوادث الجو وأعوزهم القوت الضروري - والصنائع المحتاج اليها تختلف أصنافها ، وتتفاوت درجاتها ، فمنها الخسيس والشريف ، ومنها السهل ، ومنها الصعب . وهذه الطائفة النيشرية تسعى لتقرير الاشتراك في المشتبهات ، وبحو حدود الامتياز ، ودرس رسوم الاختصاص ، حتى لا يعاوا أحد عن أحد ، ولا يرتفع شخص عن غيره في شيء ما . ويعيش الناس كافة على حد التساوى لا يتفاوتون في حظوظهم ، فان ظفرت هذه الطائفة بنجاح في سعيها هذا ، ولاق هذا الفكر الخبيث بعقول البشر مالت النفوس الى الاخذ بالاسهل والافضل . فلا تجد من يتجشم مشاق الاعمال الصعبة ، ولا من يتعاطى الحرف الخسيسة ، طلبا للمساواة في الرفعة فان حصل ذلك اختل نظام المعيشة ، وتعطلت المعاملات ، وبطلت المبادلات ، وأفضى الى تدهور

هذا النوع في هوة الهلاك . نعم أن أفكار المصايين بالماليخوليا لا تنتج أحسن من هذه النتيجة ؛ ولو فرضنا محالا وعاش بنو الانسان على هذه الطريقة العوجاء ؛ فلا ريب أن تمحى جميع المحاسن ، وضروب الزينة ، وفنون الجمال العملى . ولا تكون لبها الفكر الانسانى أثر ، ويفقد الانسانى كل كمال ظاهر أو باطن ، صورى أو معنوى ويعطل من حلى الصنائع ، وتغرب عنه أنوار العلم والمعرفة ، ويصبح في ظلام جهل وبلاء أزل (١) وينقلب كرسى مجده ، ويثقل عرش شرفه ، ويصح في بادية الوحشية كسائر أنواع الحيوان ليقضى فيها أجلا قصيرا مفعما بضروب من الشقاء محاطا بأنواع من المخاوف ، محشوا بأخلاق من الاوجال والاهوال فان المبدأ الحقيقى لمزايا الانسان إنما هو حب الاختصاص ، والرغبة فى الامتياز ، فهما الحاملان على المنافسة ، السائقان الى المباراة والمسابقة ، فلو سلبتهما أفراد الانسان وقفت النفوس عن الحركة الى معالى الامور ، وأغمضت العقول عن كشف أسرار الكائنات ، واكتناه حقائق الموجودات . وكان الانسان فى معيشته على مثال البهائم البرية - إن أمكن له ذلك - وهيهات هيهات .

مسالك النيشريين فى طلب غاياتهم

سلكوا مخالجات من الطرق لبث أو هامهم الفاسدة ، فكانوا اذا سكنوا الى جانب أمن جهروا بمقاصدهم بصريح المقال ، واذا أزعجتهم سطوة العدل أخذوا طريق الرمز والاشارة ، وكنوا عما يقصدون ، ولوحوا الى ما يطلبون ، ومشوا بين الناس مشية التدليس .

وتارة كانوا يحملون على أركان الفصر المسدس ليصدعوها بحملتها فى آن واحد وأخرى كانوا يعمدون الى بعضها اذا رأوا قوة المانع دون سائرهما ، فيجعلون

(١) أزل أى دائم مستمر .

ما قصدوا منها مرمى أنظارهم ، ويكدحون لهدمه بما استطاعوا من حول وقوة ، وقد تلجئهم الضرورة الى البعد عن الأركان الستة بأسرها ، فلا يأتون بما يمسه مباشرة ولكنهم يدأبون لابطال لوازمها أو ملزوماتها ليعود ذلك بأبطالها ، وقد يكتفون بانكار الصانع جل شأنه ، وجحد عقائد الثواب والعقاب ، ويجهدون لافساد عقائد المؤمنين علماً منهم بأن فساد هاتين العقيدتين) الاعتقاد بالله والاعتقاد بالثواب والعقاب) لا محالة يفضى الى مقاصدهم ، ويؤدي الى نتيجة أفكارهم ، وكثيرا ما سكتوا عن ذكر المبادئ ، وسقطوا على ذات المقصد ، وهو الاباحة والاشتراك وأخذوا في تحسينه وتزيينه ، واستمالة النفوس اليه ، وقد يزيدون على الدعوة الاقناعية بأى وجوهها عملاً جاهلياً تأنف منه الطباع ، وتأباه شرائع الانسانية ذلك أن يأخذوا معارضتهم بالعدو والاغتيال فكثيراً ما فتكوا بألاف من الارواح البريئة ، وأراقوا سيولا من الدماء الشريفة ، بطرق من الحيل ، وضروب من الختل .

ضرر مذاهب النيشريين

حتى بعقول من لا يأخذ بها إذا خالطهم

متى ظهر النيشريون في أمة نفذت وساوسهم في صدور الاشرار من تلك الأمة واستهوت عقول الحبيثاء الذين لا يهمهم إلا تحصيل شهواتهم ، ونيل لذاتهم من أى وجه كان لموافقة هذه الآراء الفاسدة لأهوائهم الخبيثة ، فيميلون معهم الى ترويج المشرب النيشرى وإذاعته بين العامة ، غير ناظرين الى ما يكون من أثره . ومن الناس من لا يساهمهم في آرائهم ، ولا يضرب في طرقهم ؛ إلا أنه لا يسلم من مضارها ومفاسدها فان الوهن يلم بأركان عقائده ، والفساد يسرى لاخلاقه من حيث لا يشعر حيث أن أغلب الناس مقلدون في عقائدهم ، منقادون للعادة في أخلاقهم

وأقل التشكيك ، وأدنى الشبهة ، يكفى علة لرعاية قواعد التقليد ، وضعضعة قوائم العادة . وان هؤلاء النشريين بما يقذفون بين الناس من أباطيلهم يبدرون في النفوس بذور المفساد ، فلا يلبث أن تنمو في تراب الغفلة فتكون ضريباً وزقوماً .

ولهذا قد يعم الفساد أفراد الأمة التي تظهر فيها هذه الطائفة ، وكل لا يدري من أى باب دمر الفساد على قلبه ، فتشيع بينهم الحيانة والغدر ، والكذب والنفاق ، ويهتكون حجاب الحياء ، وتصدر عنهم شنائع تنكرها الفطرة البشرية يأتون ما يأتون من تلك القبائح مجاهرة بلا تخرج ، وكل منهم وان كان يدعى بلسانه أنه مؤمن بيوم الجزاء ، وفي نفسه أن ذلك اعتقاده واعتقاد آباؤه ، إلا أن عمله عمل من يعتقد أن لاجياة بعد هذه الحياة ، لسريان عقائد النشريين الى قلبه ، وهو في غفلة عن نفسه فلهاذا تغلب عليهم الآثرة ، وهو إفراط الشخص في حبه لنفسه الى حد لو عرض في طريق منفعته مضرة كل العالم لطلب تلك المنفعة ، وإن حاق الضرر بمن سواه . ومن لوازم هذه الصفة أن صاحبها يؤثر منفعته الخاصة على المنافع العامة ، ويبيع جنسه وأمه بأبخس الأثمان ، بل لا يزال به الحرص على هذه الحياة الدنيئة ، يبعث فيه الخوف ، ويمكن فيه الجبن ، حتى يسقط به في هاوية الذل ، ويكتفى من الحياة بمدها . وإن كانت مكتتفة بالذلة ، محاطة بالمسكنة ، مبطنة بالعبودية . فاذا وصلت الحال في أمة الى أن تكون آحادها على هذه الصفات تقطعت فيها روابط الائتنام ، وانعدمت وحدتها الجنسية ، وفقدت قوتها الحافظة وهوت عروش مجدها ، وهجرت الوجود كما هجرها .

بيان الامم التي خنعت للذل وضرعت للضميم

بعد العزة والشرف بما أفسد فيهم النيشريون (الدهريون)

شعب * (الكريك) * - أي اليونانيون - كانوا قوماً قليلي العدد ، وبما ألهوا أو ورثوا من العقائد الثلاث ، خصوصاً عقيدة أن أمتهم أشرف الامم ، وبما أودعوا من الصفات الثلاث ، خصوصاً صفة الانفة والاباء وهي عين الحياة ، ثبتوا أحقاباً في مقاومة الأمة الفارسية ، وهي تلك الأمة العظيمة التي كانت تمتد من نواحي كشغر الى ضواحي استنبول . ذلك فوق ما بلغوه من الدرجات العالية ، في العلوم الرفيعة ، وقد حملهم الخوف من الذل ، والانفة من العبودية ، على الثبات في مواقف الابطال بل رسخ بهم ذلك ولا رسوخ الجبال ، حذراً من الوقوع فيما لا يليق بأرباب الشرف ، وأبناء المجد ، حتى آل بهم الامر أن تغلبوا على تلك الدولة العظيمة * (دولة فارس) * وهدموا أركانها ، ومدوا أيديهم الى الهند . وكانت صفة الامانة قد بلغت من نفوسهم الى حيث كانوا يرجحون الموت على الخيانة كما تراه في قصة * (تيمستوكليس) * وهو قائد يوناني نبذه أبناء جلدته ، وطرده وأرصدوا له القتل ، فاضطر للفرار من أيديهم والتجأ الى * (ارتسكزيكسيس) * ملك فارس فلما كانت حرب بين فارس واليونان أمره ارتسكزيكسيس أن يتولى قيادة جيش لحرب اليونان فأبى أن يحارب أمته وإن كانت طردته ، فلما ألح عليه الملك الفارسي ولم يجد مخلصاً تناول السم ومات أنفة من خيانه بلاده . راجع تاريخ اليونان .

ظهر أبيقور الدهرى وأتباعه الدهريون في بلاد اليونان متسمين بسما الحكام وأنكروا الالهية * (وإنكارها أشد المنكر ومنبع كل وبال وشر كما يأتي بيانه) * ثم قالوا ما بال الانسان معجب بنفسه ، مغرور بشأنه ، يظن ان الكون العظيم إنما خلق خدمة لوجوده الناقص ، ويزعم أنه أشرف المخلوقات ، وأنه العلة الغائية لجميع

المكونات ؟ ما بال هذا الانسان قاده الحرص ، بل الجنون والحرق ، الى اعتقاد أن له عوالم نورانية ، ومعاهد قدسية ، وحياة أبدية ، ينقل اليها بعد الرحلة من هذه الدنيا ، ويتمتع فيها بسعادة لا يشوبها شقاء ، ولذة لا يخالطها كدر !! ولهذا قيد نفسه بسلاسل كثيرة من التكاليف مخالفا نظام الطبيعة العادل !! وسد في وجهه رغبته أبواب اللذائذ الطبيعية ، وحرّم حسه كثيراً من الحظوظ الفطرية ، مع أنه لا يمتاز عن سائر الحيوانات بمزية من المزايا في شأن من الشئون ، بل هو أدنى وأسفل من جميعها في جبلته ، وأتقص من كلها في فطرته ، وما يفخر به من الصنائع فانما أحذه بالتقليد عن سائر الحيوانات ؛ فالنسيج مثلا نقله عن العنكبوت ، والبناء استن فيه بسنة النحل ، ورفع القصور وانشاء الصوامع أخذ فيه مأخذ النمل الابيض وادخار الاقوات حذا فيه حذو جنس النمل ، وتعلم الموسيقى من البلبل ، وعلى ذلك بقية الصنائع .

فان كان هذا شأنه من النقص ؛ فليس من اللائق به أن يقذف بنفسه في ورطات المتاعب والمشاق عبثا ، ومن الجهل أن يفتر بهذه الحياة التي لا تمتاز عن حياة سائر الحيوانات ، بل ولا جميع النباتات ، وليس وراها حياة أخرى في عالم آخر بل أجدر به أن يلقى ثقل التكاليف عن عاتقه ، ويقضى حق الطبيعة البدنية من حظ اللذة ، ومتى سنع له عارض رغبة حيوانية وجب عليه تناوله من أى وجوهه ، وعليه أن لا ينقاد الى ما تخيله له أو هام الحلال والحرام واللائق وغير اللائق (لبئس ماسولت لهم أنفسهم نعوذ بالله) فتلك أمور وضعية - في زعمهم - تقيد بها الناس جهلا ، فلا ينبغي لابن الطبيعة أن يجعل لها من نفسه محلا . ولما امتنعت عليهم نفوس أهل الحياء من الائم فلم تأخذ منها وساوسهم ؛ وجدوا تلك الصفة الكريمة سدا دون طلبتهم فانصبوا عليها يقصدون محوها من الأنفس وأعلنوا أن الحياء ضعف في النفس على ما تقدم ، وزعموا أن من الواجب على

طالب الكمال أن يكسر مقاطر العادات (جمع مقطرة وهي خشبة فيها خروق بقدر أرجل المحبوسين) ويحمل نفسه على ارتكاب ما يستكره الناس، حتى يعود من السهل عليه أن يأتي كل قبيح بدون انفعال نفسي، ولا يجد أدنى خجل في المجاهرة بأية هجينة كانت.

ثم تقدم الايقوريون الى العمل بما يرشدون اليه، فهتكوا حجاب الحياء ومزقوا ستاره وأراقوا ماء الوجه الانساني المسكرم فاستحلوا التناول من مال الناس بغير إذن، وكانوا متى رأوا مائدة افتحموا عليها، سواء طلبوا اليها أم لم يطلبوا حتى سبهم القوم بالكلاب. فاذا رأوهم رموهم بالعظام المعروفة، ومع ذلك لم تنازل هذه الكلاب الانسية عن دعوي الحكمة، ولم يردعها رادع الزجر عن شيء من شرورها، وكانت تنجح في الأسواق منادية المال مشاع بين الكل، وتهجم على الناس من كل ناحية، وهذا سبب شهرتهم بالكليين.

فلما ضربت أفكار النيشريين (الدهريين) في نفوس اليونان بسعي الايقوريين ونشبت بعقولهم، سقطت مداركهم الى حضيض البلادة، وكسد سوق العلم والحكمة، وتبدل شرف أنفسهم بالذل واللؤم، ونحوت أماتهم الى الخيانة وانقلب الوقار والحياء قحة وتسفلا، واستحالت شجاعتهم الى الجبن، ومحبة جنسهم ووطنهم الى المحبة الشخصية. وبالجملة فقد تهدمت عليهم الاركان الستة التي كان يقوم عليها بيت سعادتهم، وانتقض أساس إنسانيتهم، ثم انتهى أمرهم بوقوعهم أسرى في أيدي الرومانيين (جنس اللاتين) وكبلوا في قيود العبودية زمنا طويلا بعد ما كانوا يعدون حكاما في الأرض بلا معارض.

(الائمة الفارسية) بلغت فيها الاصول الستة أعلى مكانة من الكمال أحقابا طويلا، فكانت لها أصول السعادة، وموارد النعيم، حتى بلغ اعتقاد الفارسيين من الشرف لا أنفسهم الى حد أنهم كانوا يزعمون أن السعداء من غيرهم إنما هم

الداخلون في عهدهم المستظلون بحمايتهم ، أو المجاورون لمالكهم .

كان الصدق والامانة أول التعليم الدينى عندهم ، ووصلوا في التحرج من الكذب الى حيث كانوا إذا بلغت الحاجة مبلغها من أحدهم لا يتقدم للاقتراض خوف أن يضطره الدين الى الكذب في مواعيد وفائه ، فارتفعوا بهذه الخصال الى درجة من العزة وبسطة الملك يلزم لبيانها كتاب مثل الشاهنامه .

قال المؤرخ الفرنساوى فرنسيس لونورمان : إن مملكة فارس على عهد دارا الأكبر كانت إحدى وعشرين إيالة ، واحدة منها تحتوى مصر وسواحل القلزم (البحر الاحمر) وبلوخستان والسند ، وكانوا اذا ألم الضعف بسطانهم في زمن من الأزمان بعثتهم تلك العقائد القويمة ، والصفات الكريمة ، على تلافى أمرهم فخلصوا بما ألم بهم في قليل زمن ، ورجعوا الى مكاتهم الاولى ، ومجدهم الأعلى .

ظهر فيهم (مزدك) النيشري (الدهري) على عهد (قباز) واتحل لنفسه لقب رافع الجور ، ودافع الظلم ، وبنزغة من نزغاته قلع أصول السعادة من أرض الفارسيين ، ونسفا في الهواء ، وبددها في الأجواء . فانه بدأ تعليمه بقوله : جميع القوانين والحدود والآداب التى وضعت بين الناس قاضية بالجور ، مقررة للظلم وكلها مبنى على الباطل ، وأن الشريعة النيشرية المقدسة لم تنسخ حتى الآن ، وقد بقيت مصونة في حرزها عند الحيوانات والبهائم ، أى عقل وأى فهم يصل الى سر ماشرعته النيشرية (الطبيعة) وأى إدراك يحيط بمثل ما أحاط به ، وقد جعلت الطبيعة حق المأكل والمشرب والبضاع مشاعا بين الآكلين ، والشاربين ، والمباضعين بدون أدنى تخصيص . فما الحامل للانسان على حرمان نفسه من بضاع بنته وأمه وأخته ، ثم تركن لغيره يتمتع بهن انقياداً لما يخيله له الوهم مما يسميه شريعة وأدبا ؟! وأى حق يستند اليه من يدعى ملكية خاصة فى مال يتصرف فيه دون سواه ؟ مع أنه شائع بينه وبين غيره ؟ وأى وجه لمن يحجر على امرأة دخلت فى

عقده ، ويحظر على الناس نيلها وقد خلق الذكّر للأنثى والأنثى للذكّر ١٤ وماذا يوجد من العدل في قانون يحكم بأن المال الشائع اذا تناولته يد معتصب بما يسمونه بيعاً وشراءً أو إرثاً يكون مختصاً بذلك المعتصب ، ثم يحكم على الفقير المحروم اذا احتال لاخذ شيء من حقه والتمتع به بأنه خائن أو غاصب (١) .

فان كان هذا شأن تلك القوانين الجائرة ، فعلى الانسان أن يفك أغلالها من عنقه ، وي طرح كل قيد عقده القوانين والشرائع والآداب التي لا واضع لها سوى العقل الانساني الناقص ، وليرجع الى سنة الطبيعة المقدسة ، ويقضى حق شهوته من اللذائذ التي أباحتها له بأي الوجوه ، ومن أية الطرق ، ويأخذ في ذلك مأخذ البهائم ، وعليه أن يقاوم الغاصبين المتحكمين في الحقوق قسراً (أي المالكين للأموال والأبضاع) فيخرجهم عن سوء فعلهم من الغصب والجور (أي حق التملك) .

فلما ذاعت هذه النزغات الخبيثة بين الأمة الفارسية ، تهتك الحياة ، وفشا الغدر والخيانة ، وغلبت الدناءة والنذالة ، واستولى حكم الصفات البهيمية على نفوسهم وفسدت أخلاقهم ، وردت طباعهم .

نعم أن أنوشروان قتل مزدك وجماعة من شيعته ، ولكنه لم يستطع محو هذه الأوهام الفاسدة بعد ما علقت بالعقول ، والتبست نفايتها بالأفكار ، فكان علة في ضعفهم . حتى إذا هاجمهم العرب لم تكن إلا حملة واحدة فانهزموا ، مع أن الروم وهم أقران الفارسيين ثبتوا في مجادلة العرب ومقاتلتهم أزماناً طويلة .

(١) ولقد قتله ابن قباد حين تولى الملك شر قتلة هو وأتباعه لانه في سبيل أن يخلص أمه من بين يرائنه قبل أقدامه القذرة وأسرها له حتي تولى الملك بعد أبيه

الامة الاسلامية

جاءتها الشريعة المحمدية ، والديانة السماوية ، فأشربت قلوبها تلك العقائد الجليلة
ومكنت في نفوسهم تلك الصفات الفاضلة ، وشمل ذلك آحادهم ، ورسخت بينهم
تلك الأصول الستة بدرجة يقصر القلم دون التعبير عنها . فكان من شأنهم أن بسطوا
سلطانهم على رؤس الأمم من جبال الألب إلى جدار الصين في قرن واحد ، وحثوا
تراب المذلة على رؤس الأكاصرة والقياصرة ، مع أنهم لم يكونوا إلا شذمة قليلة
العدد ، نزره العدد ، ولم ينالوا هذه البسطة في الملك ، والسطوة في السلطان ، إلا
بما حازوا من العقائد الصحيحة ، والصفات الكريمة . هذا إلى ماجذبه مغناطيس
فضائلهم من مائة مليون دخلوا في دينهم في مدة قرن واحد من أمة مختلفة ، مع أنهم
كانوا يخبرونهم بين الإسلام وشيء زهيد من الجزية لا يثقل على النفوس أداؤه ، هكذا
كان حال هذه الأمة الشريفة من العزة ومنعة السلطان .

فلما كان القرن الرابع بعد الهجرة ظهر النيسريون (الطبيعيون) بمصر تحت اسم
الباطنية ، وخزنة الأسرار الالهية ، وانبتت دعواتهم في سائر البلاد الاسلامية
خصوصاً بلاد إيران ، علم هؤلاء الدهريون أن نور الشريعة المحمدية على
صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم قد أنار قلوب المسلمين كافة ، وأن علماء الدين
الحنيفي أقاموا على حراسة عقائد المسلمين وأخلاقهم بكال علم ، وسعة فضل ، ودقة
نظر ، فلماذا ذهب أولئك المفسدون مذاهب التديليس في نشر آرائهم ، وبنو تعليمهم
على أمور .

أولاً إثارة الشك في القلوب حتى يتفكك عقد الايمان ، وثانياً الاقبال على
الشاك وهو في حيرته لينوه بالنجاة منها وهدايته الى اليقين الثابت ، فإذا انقاد لهم
أخذوا منه موافقهم ثم أوصلوه الى مرشدكم الكامل ، وثالثاً أوغزوا الى دعواتهم

أن يلبسوا لرؤساء الدين الاسلامي لباس الخدعة ، وجعلوا من شروط الداعي أن يكون بارعا في التشكيك ، ماهراً في التليس ، مقتدرأ على إشراب القلوب مطالبه فاذا سقط الساقط من المغرورين في حباله مرشدهم الكامل ، فأول ما يلقنه المرشد قوله : إن الاعمال الشرعية الظاهرة - كالصلاة والصيام ونحوهما - إنما فرضت على المحجوبين دون الوصول الى الحق ، والحق هو المرشد الكامل ، فحيث أنك وصلت إلى الحق فإليك أن تلقى عن عاتقك ثقل الاعمال البدنية ؛ فاذا مضى عليه زمن في عهدهم صرحوا له بأن جميع الاعمال الباطنة والظاهرة ، وكذلك سائر الحدود والاعتقادات ، إنما ألزمت فرائضها بالتأصيل المصائب بأمراض من ضعف النفوس ونقص العقول ، أما وقد صرت كاملاً فلك الاختيار في مجاوزة كل حد مضروب ، والخروج من أكنان التكاليف الى باحات الاباحة الواسعة ، ما الحلال وما الحرام ؟ ما الأمانة وما الحيانة ؟ ما الصدق وما الكذب ؟ ما هي الفضائل وما هي الرذائل ؟ أفاظ وضعت لمعان مخيلة ، وما لها من حقيقة واقعية - في زعم المرشد - .

فاذا قرر المرشد أصول الاباحة في نفوس أتباعه ؛ اتمس لهم سبيلاً لانكار الألوهية ، وتقرير مذهب النيشرية - الدهريين - فأتى اليهم من باب التنزيه فقال : الله منزّه عن مشابهة المخلوقات ، ولو كان موجوداً لا يشبه الموجودات ، ولو كان معدوماً لا يشبه المعدومات ، فهو لا موجود ولا معدوم (يعنى أنه يقر بالاسم وينكر المسمى) مع أن شبيته هذه سفسطة بديهية البطلان فان الله منزّه عن مشاركة الممكنات في خصائص الامكان . أما في مطلق الوجود فلا مانع من أن يتفق إطلاق الوصف عليها وعليه ، وإن كان وجوده واجباً ، ووجودها ممكناً .

وقد جدت طائفة الباطنية في إفساد عقائد المسلمين زماناً غير قصير ؛ أخذوا بالحيلة ونفاذاً بالخدعة ، حتى انكشف أمرهم لعلماء الدين ورؤساء المسلمين ؛ فانتصبوا الدرر

مفاسدهم ، وتحويل الناس عن ضلالاتهم . فلما رأوا كثرة معارضهم شحدوا سفار الغيلة ، ففتكوا بكثير من الصالحين ، وأراقوا دماء جم غفير من علماء الأمة الإسلامية ، وأمراء الملة الخنيفية (١)

وبعض أولئك المفسدين عندما أمكنته الفرصة ووجد من نفسه ربح القوة أظهر مقاصده على منبر (الموت) - قلعة في خراسان - وجهر بأرائه الخبيثة فقال : إذا قامت القيامة حطت التكاليف عن الأعناق ، ورفعت الأحكام الشرعية سوا . كانت متعلقة بالأعمال البدنية الظاهرة ، أو المملكات النفسية الباطنة ، والقيام عبارة عن قيام القائم الحق ، وأنا القائم الحق ، فليعمل عامل ما أراد فلا حرج بعد اليوم ، إذ رفعت التكاليف ، وخلصت منها الذمم (أى أغلقت أبواب الانسانية وفتحت أبواب البيهية) .

وبالجملة فهؤلاء الدهريون من أهل التأويل أى (الناتور اليسم) من الأجيال السابقة الإسلامية ، عملوا على تغيير الأوضاع الآلهية بفنون من الحيل ، ودعوا كل كمال إنسانى نقصاً ، وكل فضيلة رذيلة ، وخيلوا للناس صدق ما يزعمون . ثم تناولوا على جانب الألوهية مخلوقات الايمان بها بالسفسطة التى سموها تنزيها ، ومحووا هذا الاعتقاد الشريف من لوح القلوب وفى محوه محو سعادة الانسان فى حياته وسقوطه فى هاوية اليأس والشقاء .

فأفسدوا أخلاق الملة الإسلامية شرقاً وغرباً ، وزعزعوا أركان عقائدها ، وساعدهم مد الزمان على تلوين النفوس بالأخلاق الرديئة ، وتجريدها من السجايا الكاملة التى كان عليها أبناء هذه الملة الشريفة ، حتى تبدلت شجاعتهم بالجبن ، وصلابتهم بالخور ، وجرأتهم بالخوف ، وصدقهم بالكذب ، وأماتتهم بالحياة ، ووقع المسخ

(١) ومنهم طائفة الاسماعيلية ومنهم الجماعة المشهورون بالحشاشين ولهم للآن

بقية فى جبل الدروز .

في مهمهم . فبعد أن كان مرماها مصالح الملة عامة ؛ صارت قاصرة على المنافع الشخصية الخاصة ، وعادت رغباتهم لاتخرج عن الشهوات البهيمية .

وكان من عاقبة ذلك أن جماعة من قزم الافرنج صدعوا أطراف البلاد السورية (١) وسفكوا فيها دماء آلاف من أهاليها الابرياء ، وخربوا ما أمكنهم أن يخربوا وثبتوا بها نحو مائتي سنة ، والمسلمون في عجز عن مدافعتهم ، مع أن الافرنج كانوا قبل عروض الوهن لعقائد المسلمين ، وطروء الفساد على أخلاقهم ؛ في قلق لا يستقر لهم أمن على حياتهم وهم في بلادهم خرفا من عادة المسلمين . وكذلك قام جماعة من أوباش التتر والمغول مع جنكيز خان واخترقوا بلاد المسلمين ، وهدموا كثيرا من المدن المحمدية ، وأهدروا دماء ملايين من الناس ، ولم تكن للمسلمين قدرة علي دفع هذا البلاء عن بلادهم ؛ مع أن مجال خيولهم في بدء الاسلام على قلة عددهم كان ينتهي الى أسوار الصين .

وما نزل بالمسلمين شيء من هذه المذللات والاهانات ، ولا رزئوا بالتحريب في بلادهم ، والقضاء في أرواحهم ؛ إلا بعد ما كلت بصائرهم ، ونغلت نياتهم ، ومازج الدغل قلوبهم ، وخربت أماتهم ، وفشا الغش والادهان بينهم ، ودار كل منهم حول نفسه لا يعرف أمة ، ولا ينظر الى ملة ، فأصبحوا بقناة خوارة بعد أن كانت قناتهم لاتلين لغامز .

إلا أن بقية من تلك الاخلاق المحمدية كانت لم تزل راسخة في نفوس كثير منهم ، كامة في طي ضمائرهم ، فهي التي أنهضتهم من كبوتهم ، وحملتهم على الجد في كشف السطوة الغريبة عن بلادهم ، فأجلوا الاثم الافرنجية بعد مئين من السنين وخلصوا البلاد السورية من أيديهم ، وطوقوا الجنكيزيين بطوق الاسلام ، وأبسوهم

(١) يشير رحمه الله الى الحروب الصليبية وأهوالها وقد أبى فيها السلطان صلاح الدين الأيوبي أشد البلاء رحمه الله تعالى .

تيجان شرفهم . ولكنهم لم يستطيعوا حسم داء الضعف ، وإعادة ما كان لهم من الشوكة الى المقام الاول . فان ما كان من شوكة وقوة إنما هو أثر العقائد الحقنة والصفات المحمودة ، فلما خالط الفساد هذه وتلك ؛ تعمس عود السهم الى النزعة ولهذا ذهب المؤرخون الى أن بداية الانحطاط في سلطة المسلمين كانت من حرب الصليب ، والالتيق أن يقال إن ابتداء ضعف المسلمين كان من يوم ظهور الآراء الباطلة ، والعقائد النيشرية * (الدهرية) في صورة الدين ، وسريان هذه السموم القاتلة في نفوس أهل الدين الاسلامي .

وليس يخاف أن قمة ظهرت في الأيام الاخيرة ببعض البلاد الشرقية وأراقت دماء غزيرة ؛ وفنكت بأرواح عزيزة ؛ تحت اسم لا يبعد عن أسماء من تقدمها مثل مشربها ، وإنما التقطت شيئاً من نفايات ماترك دهر يو الموت ، وطبيعيو كردكوه وتعليمها نموذج تعليم أولئك الباطنيين ، فعلياً أن نتظر ما يكون من آثار بدعها في الامة التي ظهرت بها .

الشعب الفرنسي

شعب كان قد تفرد بين الشعوب الأوروبية باحراز النصب الاوفر من الاصول الستة ، فرفع منار العلم ، وجبر كسر الصناعة في قطعة أوروبا بعد الرومانيين ، وصار بذلك مشرفاً للتمدن في سائر الممالك الغربية ، وبما أحرز الفرنسيون من تلك الاصول كانت لهم الكلمة النافذة في دول الغرب الى القرن الثامن عشر من الميلاد المسيحي حتى ظهر فيهم (وولتير) و (روسو) يزعمان حماية العدل ، ومغالبة الظلم ، والقيام بانارة الافكار ، وهداية العقول . فنبشاً قبر أبيقور الكلبى ، وأحييا ما بلى من عظام الناتور اليسم (الدهريين) ونبشاً كل تكليف ديني ، وغرساً بذور الاباحة والاشترك وزعما أن الآداب الالهية جعليات خرافية كما زعما أن الاديان مخترعات أحدثها نقص العقل الانساني ، وجهر كلاهما بانكار الالهية ، ورفع كل

عقيرته بالتشجيع على الأنبياء * (برأهم الله عما قالوا) * وكثيراً ما ألف وولتير من الكتب في تخطئة الأنبياء والسخرية بهم ، والقدح في أنسابهم ، وعيب ما جاؤا به فأخذت هذه الأباطيل من نفوس الفرنسيين ، ونالت من عقولهم ، فنبذوا الديانة العيسوية ونفضوا منها أيديهم . وبعد أن أغلقوا أبوابها فتجروا على أنفسهم أبواب الشريعة المقدسة - في زعمهم - شريعة الطبيعة ، وزاد بهم الهوس في بعض أيامهم حتى حمل لفيقا من عامتهم أن يتناولوا بنتا من ذوات الجمال فيهم ويحملوها الى محراب الكنيسة ، ففعلوا ونادى زعيم القوم : أيها الناس لا يأخذكم الفزع بعد اليوم من هدهدة الرعد ، ولا التماع البرق ، ولا تنظنوا شيئاً من ذلك تهديداً لكم من إله السماء يرسله عليكم ليعظكم به ، ويزعجكم عن مخالفته ، كلا فهذه كلها آثار الطبيعة * (الناتور) * ولا مؤثر في الوجود سوى * (الناتور) * فحلوا عن أعناقكم قيود الأوهام ، ولا تقيموا لأنفسكم لها من خواطر ظنونكم ، فان كانت العبادة من رغائب شهواتكم فهاهي (مدموازيل) - أي العذراء - قائمة في المحراب على مثال الدمية ، فاسجدوا لها إن شئتم .

والأضاليل التي بثها هذان الدهريان * (وولتير وروسو) * هي التي أضمرت نار الثورة الفرنسية المشهورة ، ثم فرقت بعد ذلك أهواء الأمة ، وأفسدت أخلاق الكثير من أبنائها ، فاختلفت فيها المشارب ، وتباينت المذاهب ، وأوغلوا في سبيل الخلاف زمناً يتبعه زمن حتى تباين صدعهم وذهب كل فريق يطلب غاية لا يرى وراءها غاية ، وليس بينها وبين غايات سائر الفرق مناسبة . وانحصر سعي كل قبيل في التماس ما يوافق لذته ، ويوافق شهوته ، وأعرضوا عن منافعهم العامة ، وأعقب ذلك عروض الخلل لسياستهم الخارجية شرقاً وغرباً .

نعم إن نابليون الأول بذل جهده في إعادة الديانة المسيحية الى ذلك الشعب استذكرا كما لشأنه ؛ لكنه لم يستطع محو آثار تلك الأضاليل فاستمر الاختلاف

بالفرنساويين الى الحد الذي هم عليه اليوم . هذا الذي جر فرنساويين للسقوط في عار الهزيمة بين يدي الالمانيين ، وجلب اليهم من الخسارة ما تعسر عليهم تعويضه في سنين طويلة . هذه الالباطيل الدهرية قام عليها مذهب الكمون - أي الاشتراكيين - ونما هذا المذهب بين فرنساويين ، ولم تكن مضار الآخذين به ومفاسدهم في البلاد فرنساوية أقل من مضار الالمانيين (راجع تاريخ الحرب بين فرنسا وألمانيا) (١) ولولم يتدارك الأمر باب العقائد النافعة ، والسجايا الحسنة ؛ لنسف الاشتراكيون كل عمران على أديم فرنسا ، ومحووا مجد الأمة تنفيذاً لأهوائهم ، وجلبوا لرغائبهم

الأمة العثمانية

إنما رقت حالتها في الأزمنة المتأخرة بما دب في نفوس بعض عظامها وأمرائها من وساوس الدهريين ، فإن القواد الذي اجتروا إثم الخيانة في الحرب الأخيرة بينها وبين الروسية كانوا يذهبون مذهب النيشريين (الدهريين) وبذلك كانوا يعدون أنفسهم من أرباب الأفكار الجديدة (أبناء العصر الجديد) .

زعموا بما كسبوا من أوهام الدهريين أن الانسان حيوان كالحيوانات لا يختلف عنها في أحكامها ، وهذه الاخلاق والسجايا التي عدوها فضائل تخالف بجميعها سنن الطبيعة المطلقة (الناتور) وإنما وضعها تحكم العقل ، وزادها تطرف الفكر ، فعلى من بصر بالحقيقة (على زعم أولئك المارقين) أن يستتج كل طريق لتحصيل شهواته ، واستيفاء لذاته ، ولا يأخذ نفسه بالحرمان من ملاذه ، وقوفاً عند خرافات القيود الواهنة ، والموضوعات الانسانية الواهية ، وحيث أن الفناء حتم على الأحياء فما هو الشرف والحياء ، وما هي الامانة والصدق ، وأي شيء هو العفة

(١) ولو رأى رحمه الله ما خلفته الحرب الكبرى أخيراً في جميع شعوب الأرض

لغير حكمه هذا وعلم أن الداء انتشر في نفوس الجميع .

والاستقامة ؟ ولهذا خان أولئك الامراء ملتهم مع ما كان لهم من الرتب الجليلة ورضوا بالدنية ، واستناموا الى الخسة ، ونسفوا بيت الشرف العثماني في تلك الحرب ، وجلبوا المذلة على شعوبهم بعرض من الحطام قليل !!

السوسياليست (الاجتماعيون) النيهليست (العدميون)

الكهونيات (الاشتراكيون) (١)

هذه الطوائف الثلاثة تتفق في سلوك هذه الطريقة (الدهرية) وزينوا ظواهرهم بدعوى أنهم سند الضعفاء ، والطالبون بحقوق المساكين والفقراء ، وكل طائفة منها وإن لونت وجه مقصدها بما يروم مخالفتها لمقصد الاخرى ؛ إلا أن غاية ما يطلبون إنما هو رفع الامتيازات الانسانية كافة وإباحة الكل للكل ، وإشراك الكل في الكل . وكم سفكوا من دماء ، وكم هدموا من بناء ، وكم خربوا من عمران ، وكم أثاروا من فتن ، وكم أنهروا من فساد ، كل ذلك سعياً في الوصول الى هذه المطالب الخبيثة . وجميعهم على اتفاق في أن جميع المشتبهات الموجودة على سطح الأرض منحة من الطبيعة ، وفيض من فيوضها ، والاحياء في التمتع بها سواء ، واختصاص من الانسان بشيء منها دون سائر الافراد بدعة في شرع الطبيعة سيئة يجب محوها والاراحة منها . ومن مزاعمهم أن الدين والملك عقبتان عظيمتان ، وسدان منيعان ؛ يعترضان بين أبناء الطبيعة ونشر شريعتهما المقدسة (الاباحة والاشتراك) وليس من مانع أشد منهما ، فاذن من الواجب على طلاب الحق الطبيعي أن ينقضوا هذين الأساسين ويبدوا الملوك ورؤساء الأديان .

ثم يعمدوا الى الملاك وأهل السعة في الرزق ، فإن دانوا لشرع الطبيعة فخرجوا

(١) ولو عاش الى زماننا لوضع في رأس القائمة السوداء البولشفيك .

عن الاختصاص فتلك ، وإلا أخذ بأعناقهم قتلا ، وبأ كظامهم خنقا ، حتي يعتبر بهم من يكون من أمثالهم فلا يلوون رؤسهم كبرا على الشريعة المقدسة (شريعة الطبيعة) ولا تزور أعناقهم عصياناً لأحكامها .

نظر أبناء هذه الطوائف الثلاثة في وجوه الوسائل لبث أفكارهم والافضاء بما في أوهامهم الى قلوب العامة فلم يجدوا وسيلة أنجح في زرع بزور الفساد في النفوس من وسيلة التعليم ؛ إما بإنشاء المدارس تحت ستار نشر المعارف ، أو بالدخول في مسلك المعلمين في مدارس غيرهم ليقرروا أصولهم في أذهان الأطفال وهم في طور السذاجة فتنتقش بها مداركهم بالتدرج . فن أولئك الدهريين من هم من بناء المدارس ودعوة الناس اليها ، ومنهم متفرقون في بلاد أوربا يطلبون وظائف التعليم وينالون من ذلك طلبتهم ، وجميعهم يتعاونون على إذاعة خيالاتهم الباطلة وبهذا كثرت أحزابهم ، ونمت شعبتهم في أقطار الممالك الأوربية ، خصوصاً مملكة الروسية . لاجرم أن هذه الطوائف إذا استفحل أمرها ، وقوى ساعدها على المجاهرة بأعمالها فقد تكون سبباً في انقراض النوع البشري كما تقدم ذكره . أعاذنا الله من شرور أقوالهم وأعمالهم .

مورمون

هذا النبي الأخير والرسول الممتاز بالبعثة من قبل الناتور (الطبيعة) نشأ في إنكلترا ، ثم هاجر منها الى أميركا وأعلن ما ألقى اليه بالهام الطبيعة من أن النعمة العظمى (يريد الاباحة والاشتراك) إنما يؤتاها من كان مؤمناً بالطبيعة ، وليس لغيره من الكفرة بها حق التمتع بتلك النعمة . واجتمع اليه عدد من ضعفة العقول فألف منهم جمعيتين ؛ إحداهما من المؤمنين ، والاخرى من المؤمنات ، وقال : لكل مؤمن حق التمتع بكل مؤمنة ، حتى إذا سئلت إحدى المؤمنات : زوجة من أنت ؟ تجيب أنها زوجة جماعة المؤمنين ، وإذا سئل أحد أبنائهن : ابن من أنت ؟ يجيب

أنه ابن الجمعيه ، إلا أنه الى الآن لم يصعد لهيب فسادهم من هوة الويل (هوة جمعيتهم)

دهر يو الشريين

أمامنكرو الألوهية - أعنى النيشريين - الذين ظهروا في لباس المهذبين، ولونوا
ظواهرهم بصبغ المحبة الوطنية ، وزعموا أنفسهم طلاب خير الامة، فصاروا بذلك
شركاء اللص ، ورفقاء القافلة ، ثم تجلوا في أعين الاغبياء حملة لاعلام العلم والمعرفة
وبسطوا للخيانة بساطاً جديداً ، وتولاهم الغرور بما حفظوا من كلمات قليلة ناقصة
غير تامة الافادة ، مسروقة من أوهام المبطلين . وقتلوا سباهم كبرا وعلواً، ولقبوا
أنفسهم بالهادين ، والادلاء ، وهم في أطباق جهل ، وأرتاق غباوة ، وفي أهب من
دنس الرذائل ، ومسوك من قدر الذمائم ؛ فأولئك قوم قوى فيهم الظن بأن العقل
وثمرته من المعرفة ينحصران في تبين وجوه الغدر ، وتعرف طرق الاختلاس
ولأننى لفى خجل من ذكرهم يدافعنى الحياء عن رواية سيرهم ، وحقايق أعمالهم ، فإن
مقاصدهم من الدناءة بحيث لاتخرج عن جيوبهم . يسعون في اقتلاع أساس أمتهم
لشهوة بطونهم ، يحددون سفارهم لتقطيع روابط الالتئام بين بنى جنسهم ، لا يتبعون
بذلك عوضاً سوى حشو معدهم ، وما أضيق مجال أفكارهم .

الى الآن لم يخط أحدهم خطوة خارج كرشه، ولم يمد واحد منهم رجله لآبعد
من فرشته ، وليس فى وسع القلم أن يتحرك فى هذا المجال الضيق . غير أنه يمكن
أن يقال إنهم (بياجرا) لغيرهم من أهل الضلالة (أى سيئو التقليد لهم) ومابقى من
أوصافهم لا يخفى على فهم القارئين .

مضار إنكار الألوهية

تبين مما أسلفناه أن طائفة النشريين (الدهريين) كلما نجمت في أمة أفسدت أخلاقها ، وأوقعت الخلل في عقولها ، وتخطفت قلوب آحادها بأنواع من الخيل وألوان من التلبس ؛ حتى تصبح تلك الأمة وقد وهى أساسها ، وتفطر بناؤها واغتالتها رذائل الاخلاق من الاثرة ، وعبادة الشهوات ، والجرأة على ارتكاب الخيانات . ولا يزال الفساد يتغلغل في أحشائها حتى تضمحل ويمحى اسمها من صفحة الوجود ، أو تضرب عليها الذلة ، ويخلد أبنائها في الفقر والعبودية .

إلا ان قبلا من هذه الطائفة عملوا على إخفاء مقصدهم الاصلى وهو الاباحة والاشترك ، واكتفوا في ظاهر الامر بانكار الألوهية وجحود يوم الدين يوم العرض والجزاء ، وقد يظن بعض ضعفة العقول أن في ذلك بسطة الفكر ، وسعة الحرية ، لهذا أحببت أن أبين أن هذه النزعة وحدها كافية في إفساد الهيئة الاجتماعية وتزعزع أركان المدنية ، وليس من ضرور الباطل ما هو أشد منها تأثيراً في محو الفضائل ، وإثارة الحباثت والرذائل ، وليس من الممكن أن يجتمع لشخص واحد وهم الدهري ؛ وفضيلة الامانة والصدق ، وشرف الهمة وكال الرجولية .

ذلك أن كل فرد من نوع الانسان قد أودع بحسب فطرته ، وبناء بنيته ، شهوات تميل به الى مشتبهات . فشهواته تدفعه الى تحصيل مشتبهاته ، ولا يستطيع تسكين هواه ، ولا كسر سورة نفسه إلا بنيل ما يمكنه من تلك المشتبهات ، كأنه يعالج ألم الطلب بما يصل اليه من المطلوب . ولم تجدد الطبيعة طريقاً معينة يسلكها الراغبون للوصول الى رغبتهم . فسبيل حق ، وسبيل باطل ، وسبيل الفتنة والفساد ، وسبيل الهدى والرشاد ، وسبيل سفك الدماء واغتصاب الحقوق ، وسبيل الاجمال والتعفف وكلها ميسر للطالب ، غير ممتنع على السالك .

فقصر النفوس على طريقة محدودة ، وتوقيف أهوائها عند حدود معينة ومنعها من تجاوز حد الاعتدال في آثارها وأعمالها ، وإرضاء كل ذى شهوة بحقه وكفه عن الاعتداء والاحجاف بحقوق غيره ؛ هذا كله إنما يكون بأحد أمور أربعة :

الأمور التي يمكن بها إلزام النفس حدود العدل

إما أن يحمل كل ذى حق آلة حربه فيخترط سيفه ، ويعتقل رمحاً ، ويرفع ترسه ويقوم ليله ونهاره يقدم إحدى رجليه ويؤخر الأخرى دفاعاً عن حقه. وإما شرف النفس بما يزعمه أرباب الأهواء ، وإما الحكومة ، وإما الاعتقاد بأن لهذا العالم صانعاً قادراً محيط العلم ، نافذ الحكم ، وأنه يوفى كل عامل جزاء عمله ؛ من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، ثواباً جزيلاً ، أو عقاباً وبيلاً ، في حياة بعد هذه الحياة .

الأول المدافعة الشخصية

أما الأول فبراز ، وضراب ، ونضال ، وقتال ، وجلاد ، تسيل به الأودية مهجاً ، وتخضل به الربى دماً ، وتتفانى به النفوس طلباً للحقوق ، أو دفاعاً عنها وتكون الدائرة للأقوياء على الضعفاء . حتى إذا قوى الضعفاء يوماً ما ناروا على الأقوياء ، فلا يزال صاحب القوة يطحن الضعيف ، والأقران يسحق بعضهم بعضاً ، إلى أن يعم جميعهم الفناء ، وينقرض النوع الانساني من وجه البسيطة .

الثاني شرف النفس

أما الثاني فتقدم الكلام فيه ببيان شرف النفس ، فهي صفة تنكب بصاحبها عن إتيان ما يذم عند قبيلته ، وغشيان ما يقبح في أنظار عشيرته ، ويقابلها خسة النفس وهي صفة لا يتأثر معها صاحبها من التشنيع ، ولا تنفعل نفسه من التقييح ، فقلك

الصفة - أعني شرف النفس - ليست لها حقيقة معينة ، ولا هي في حدود معروفة عند جميع الأمم حتي يمكنهم بالمحافظة عليها أن يقفوا بالشهوات عند حد الاعتدال . ألا ترى أن كثيرا من الأمور يعد ارتكابها عند بعض الأمم خسة ودناءة ، وهو بعينه عند بعض آخر شرف ورفعة يستتبع المدح والثناء ، على أنه في الحقيقة شر الشرور وأعظم الفجور .

تبين ذلك من حال سكان البادية ، وأهل الجبال من القبائل المتبدية ، فانهم يعدون الغارة والفتك بالارواح ، وانتهاب الاموال ، واسترقاق الاحرار ، من فعال المجد ، وبلوغ الغاية منها بلوغ إلى نهاية الشرف . وهذه الفعال بعينها يعدها سكان المدن وأهل الحضارة من لواحق الدناءة ، وعلامت خسة النفس . وكذلك الحيلة والمسكر يحسبهما قوم خسة وخبثاً ، ويحسبهما آخرون حكمة وعقلا .

وإذا أمعنت النظر في المسألة وجدت أن لكل كائن في عالم الامكان علة غائية والعلة الغائية لا أعمال الانسان إنما هي نفسه . فهو لا يطلب شرف النفس ولا يسعى للتجمل به إلا لطمعه في توفير رزقه ، وتوسيع سبل معيشته ، وخوفه من ضيق مسالك العيش عليه فانه يعلم أن شرف النفس يرد الى صاحبه شوارد القلوب ، ويجعله مكان تقته ، ويظهره في بهاء الصدق والامانة فيعظم الركون اليه ، وتكثر أعوانه وفي ذلك توفر أسباب المعيشة واتساع طرقها بخلاف من تلتاث نفسه بالخسة ، فذلك مقذوف القلوب ، منبوذ الطباع ، لا ينسبط اليه النظر ، ولا يحوم عليه الخاطر ، فهو قليل الأعوان عديم الأخوان . ومن كان هذا حاله سدت عليه أبواب الرزق واكتفته غائلات الفاقة ، فيكون ميل الانسان الى شرف النفس ودرجته من القوة والضعف ، وتمسكته من نفسه وعدم تمسكته ومراتب أثره في كبح الشهوات وردّها عند تخوم العدالة إنما هو على حسب أحوال الطبقات في معاشهم ، بمعنى أن كل طبقة من الناس تطلب من تلك الصفة ما ينفعها في معيشتها ، ويحفظها من طارقة السوء

بل لا ترى كل طبقة أن شيئاً يعد من الشرف إلا تلك الصفة التي تحفظ بها المنزلة وتصان بها مواد المعيشة ، وما زاد على ذلك فلا يعد فقدانه نقصاً ، ولا الخلو عنه انحطاطاً ، فلا تسعى لاستحصاله . وإن عده قوم آخرون من جوهر الشرف ، ومن مقومات الكمال ، وإن لنا عبرة في أغلب السلاطين والأمراء ، فانهم مع أخذهم بمذاهب الشرف لا يبالون بنقض العمود وخفر الذمم ، خصوصاً مع من دونهم في السلطان ، ومن لا يضارعهم في القوة ، ولا يأتفون الظلم ، ولا ينتكرون الغدر ، ولا يتجافون مذمة من تلك المذام ولا يبعدون شيئاً منها خسة ، ولا يحسبونه من غاشيات الدناءة . مع أن واحداً من هذه الفعال لو صدر من آحاد الرعية بعضهم مع بعض لعد من ذنوب الفعال ، ورمى فاعله بخسة النفس وسقوطها عن مراتب الشرف ومن هذا الوجه كان الخلل يعرض لنظام المعيشة ، حيث أن سائر الطبقات لا ينظرون إلى ما يصدر عن أمرائهم ورؤسائهم نظراً إلى ما يصدر عن آحادهم ؛ فهم يذهبون مذهب التأويل في أعمال الرؤساء والكبراء ، وهكذا حال الطبقات العالية بالنسبة لما دونها طبقة بعد طبقة ، أي أن كل طبقة عالية تزعم نفسها مصونة من المثالب محفوظة من الشنائع ، ومزلاتها عن دونها تحمل الأذنين على الإقرار لها بما تزعم ، فلو كان قوام النظام في العالم الإنساني بشرف النفس لا تطلعت أيدي العدوان من الطبقات الرفيعة فيما دونها ، وتفتحت أبواب الشر والفساد في وجه هذا النوع الضعيف .

هذا كله إذا فرضنا وقوف كل طالب لشرف النفس عند ما يظنه شرفاً لا يخالفه إلى سواه ، لا خفية ولا جهرة ؛ لكن حيث كان الباعث على التجمل بهذا الوصف إنما هو الرغبة في تحسين المعيشة ، والفرار من مضانكها ، فقلما يستوى ظاهر الإنسان وباطنه في هذه الصفة ، فهو في معلنات أموره يسلك سبل الشرف لينال حظه من ميل القلوب إليه ، ثم لا يمنع ذلك من غشيان الحيانة الخفية ، وغشم يديه في قدر العدوان من وراء حجاب التستر ، وبسط كفه لتناول الرشوة في زوايا المحاكم لأن طالب خفض العيش يعرف أن هذه الحباث الخفية تصل به إلى مقصده من

السعة على أمن من الاشتهار بصفة الدنائة ، وذلك معروف من أحوال المذاعين
الظاهرين في ثياب الشرف والعفة ، والله أعلم ماذا يسترون تحت ذيوهم ، وما
يضمرون دون جيوبهم ، وما يخزنون من الأموال في زوايا بيوتهم .

فاذن لا يليق بذى عقل أن يجعل شرف النفس ميزانا للعدل . ولا مكان للظن
بأن هذه الصفة تقف بكل عند حده ، وترضيه بحقه ، وتسكف النفوس عند
غضب الحقوق ، وتدفعها عن الجور ، وتمنعها عن الحيف ، ما ظهر منه وما بطن
فان قال قائل : إن حب المحمدة بما أشربته قلوب البشر ، وهو باعث على
الاستمساك بشرف النفس لما يستعقبه من حسن الحمد ، فكل ذى فطرة إنسانية يسعى
لكسب المحمدة لا بد أن يطلب الغاية من خلة الشرف النفسى ، ويتره نفسه عن جميع
الذائل ، ويرفعها عن معاطاة الدنيا والحسائس ، ويبتعد بها عن مخالجات
الحيف والعدوان .

فقول في جوابه : أولا اذا تعارض موجب المدح والتناء ومقتضى
الشهوات البدنية ؛ فقليل من الناس من يختار الاول على الثاني ، والجمهور الاغلب
مغالوب للشهوة ، مأسور للذة ، والنظر في طبقات الناس وأحوالهم على اختلافهم
يثبت لنا ذلك . وثانيا أن صاغة المدائح ، ونساج المحامد ، صنف من الناس أشباه
إنسان ، وأسناخ حيوان . أولئك المعروفون بالمؤرخين ، والشعراء الكاذبين ، ولا
باعث لهؤلاء على ثر المحامد ، ونظم القصائد ، إلا نضارة الثروة فى الممدوحين
وروق الجاه والجلالة فى المحمودين ، من غير نظر إلى مناشئ الجاه ولا موارد
الثروة . فمناط الخد إحدى البسطتين وإن حفت بالمظالم ، وأجيت باللوائيم
ولهذا تنبعث نفوس كثير من الناس للوصول الى هذه المظاهر ، فيطلبون
الغنى والثروة والجاه والعظمة ، ولو كان ذلك من وجوه العذر ، وطرق الحيف والظلم
ليتألوا بذلك حظهم من اللذائذ البدنية ، كما يصيبون سهمهم من المدائح على السنة
أولئك المداسين . وليس بكثير فى الناس طلاب المحمدة الحققة ، اللاقطون لدرر

المدائح من باحات الفضائل ، وساحات المكارم ، المرتادون للحمد بين حدود الحق ، وأولئك الحافظون لشرف النفس - وقليل ما هم - فلم تبق ريبة في قصر هذه الخلة - أعنى شرف النفس - عن الكفاية في تعديل الاخلاق ، وتحديد الشهوات ، وحجب العدوان ، وحفظ النظام الانساني . اللهم إلا أن تكون مستندة الى عقيدة في دين ، وتكون حقيقتها محدودة في ذلك الدين ، فعند ذلك تكون دعامة لبناء الشركة الانسانية ، ومعقداً لروابط الألفة ، وسبباً لانتظام سلسلة المعاملات لاستنادها على الدين ، لانبفسا مجردة كما مررت الاشارة اليه في صفة الحياء

الثالث الحكومة

وأما الثالث (الحكومة) فليس يخاف أن قوة الحكومة إنما تأتي على كف العدوان الظاهر ، ورفع الظلم البين ، أما الاختلاس والزور المموه ، والباطل المزين ، والفساد الملون بصنع من الصلاح ، ونحو ذلك مما يرتكبه أرباب الشهوات فمن أين للحكومة أن تستطيع دفعه ؟ وأنى يكون لها الاطلاع على خفيات الحيل ؟ وكامنات الدسائس ، ومطويات الخيانة ، ومستورات الغدر ، حتى تقوم بدفع ضرره ، على أن الحاكم وأعوانه قد يكونون - بل أكثر ما كانوا ويكونون بمن تملكهم الشهوات - فأى وازع يأخذ على أيدي أصحاب السلطة ويمنعهم من مطاوعة شهواتهم المتسلطة على عقولهم ؟ وأي غوث ينقذ ضعفاء الرعايا وذوى المسكنة منهم من شره أولئك المتسلطين وحرصهم ؟ ! لاجرم فديكون الحاكم في خفى أمره رئيس السارقين وفي جلى حاله قائد الناهيين ، وأعوانه آلات يستعملها في الجور ، وأدوات يستعين بها على الفساد والشر ، فيعطلون من حقوق عباد الله ، ويهتكون من أعراضهم ويغنمون من أموالهم ، يروون ظلماً شهواتهم بدماء الضعفاء ، وينقشون قصورهم بمهج الفقراء . وبالجملة يكون مبلغ سعيهم هلاك العباد ، ودمار البلاد .

الرابع الاعتقاد بالألوهية

فاذن لم يبق للشهوة قانع ، ولا للأهواء رادع ، إلا الأمر الرابع ، أعنى الإيمان بأن للعالم صانعاً عالمياً بمضمرات القلوب ، ومطويات الانفس ، سامى القدرة واسع الجول والقوة ، مع الاعتقاد بأنه قد قدر للخير والشر جزاء يوفاه مستحقه في حياة بعد هذه الحياة .

وفي الحق أن هاتين العقيدتين وازعان قويان يكبحان النفس عن الشهوات ويمنعانها عن العدوان ظاهره وخفيه ، وحاسمان صارمان يمحوان أثر الغدر ويستأصلان مادة التدليس . وهما أفضل وسيلة لاحقاق الحق ، والتوقيف عند الحد وهما مجلبة الأمن ، ومتنسم الراحة ، وبدون هذين الاعتقادين لا تقرر هيئة للاجتماع الانسانى ، ولا تلبس المدنية سربال الحياة ، ولا يستقيم نظام المعاملات ولا تصفو صلوات البشر من شائبات الغل ، وكبدورات الغش .

فلو خويت القلوب من هاتين العقيدتين لسكنتها شياطين الرذائل ، وسدت عليها طرق الفضائل ، ومن أين لمنكر الجزاء أن يكف نفسه عن خيانه ، أو يترفع بها عن كذب وغدر وتملق ونفاق ؟! وقد تقرر أن العلة الغائية لأعمال الانسان إنما هي نفسه - كما سبق - فإن لم يؤمن بشواب وعقاب ، وحساب وعتاب ، في يوم بعد يومه ، فما الذي يمنعه عن ذمائم الفعال ، خصوصاً إذا تمكن من إخفاء عمله ، وأمن من سوء عاقبته في الدنيا ، أو رأى منفعته الحاضرة في ركوب طريق الرذيلة ، والعدول عن سنن الفضيلة ، وأى حامل يحمله على المعاونة والمرادفة ، والمرحمة والمرورة ، وعلو الهمة ، وما يشبه ذلك من الاخلاق التي لاغنى للهيئة الاجتماعية عنها (ولئن وجد في أحد الجاحدين شيء من مكارم الاخلاق بمقتضى الغريزة لسكان عرضة للفساد أو كان أبتراً ناقصاً لفقد ما يمدده من سائر صفات الكمال) .

وقد تبين أن أول تعاليم النيشيرين (الدهريين) إبطال هذين الاعتقادين (الاعتقاد بالله والاعتقاد بالحياة الابدية) وهما أساس كل دين ، وآخر تعاليمهم الاباحة والاشتراك ، فهؤلاء القوم هم الساعون في نفس بناء الانسانية وتفريته في ذيول السافيات ، يطلبون ضعفة أركان المدينة ، وفساد الاخلاق البشرية ويقوضون بذلك ما رفعه العلم ، وشادته المعرفة . فيهلكون الامم باطفاء حرارة الغيرة ، وإخماد ربح الحمية ، هؤلاء جرائم اللؤم والحيانة ، وأرومات الرذالة والدناءة ، وأحلاس الحسة والنذالة ، وأعلام الكذب والافتراء ، ودعاة الحيوانية العجما . محبتهم كيد ، وصحبتهم صيد ، وتوددهم مكر ، ومواصلتهم غدر ، وصدقاتهم خيانة ، ودعواهم للانسانية حباله ، ودعوتهم للعلوم شرك ومكيدة ، يخونون الامانة ولا يحفظون السر ، ويبيعون الصق الناس بهم بأدني مشتباتهم ، عيبس البطون وأسراء الشهوات ، لا يستنكفون من الدنية إذا أعقبها عطية ، ولا يخجلون من الفضيحة إذا تبعها رضىخة . لا علم عندهم بالوقار ، ولا إحساس لهم بالعار ، ولم يبلغهم عن شرف النفس خير مخير ، ولا وصل اليهم عن الهمة عبارة معبر ، أو تفسير مفسر ، الابن فيهم لا يأمن أباه ، والبنت لا أمان لها من كليهما ، نعم أى حد تقف دونه حركات طبع الطبيعيين ؟ !

قد يوجد بين الناس من تغره نعومة لمس هذه الافاعي ، وتروقه رقطة جلودها وانتظام الرقش فيها ، فينخدع لهم بما يلتبس عليه من أمرهم ؛ فيصغى لزخرف قولهم ويظن أن هؤلاء القوم من طلاب التمدن ، والاعوان على الاصلاح أو من الراغبين في بث المعارف ، أو المنقبين عن الحقائق ، أو يتخيل أن منهم من يكون غوثاً عند الضيق ، أو عوناً في الشدة ، أو مخزناً للأسرار عند الحاجة ، فذلك المغرور بمظاهر هذه الطائفة لامحالة ، يبكى عليه ، ويضحك منه ، فالضحك عجباً من غروره والبكاء حزناً على ضلاله .

فبين مما قرناه أن الدين - وإن انحطت درجته بين الأديان وهي أساسه - فهو أفضل من طريقة الدهريين ، وأمس بالمدينة ، ونظام الجمعية الانسانية ، وأجمل أثرآ في عقد روابط المعاملات ، بل في كل شأن يقيد المجتمع الانساني ، وفي كل ترق بشرى الى أية درجة من درجات السعادة في هذه الحياة الاولى .

ولما كان نظام الايمان كون قد بنى على أساس الحكمة ، ونظام العالم الانساني جزء من النظام الكونى ؛ ألهم الله نفوس البشر أن تفرغ الى مقاومة أولئك المفسدين (الدهريين) في أى زمان ظهر وا ، ومدافعة ما يعرض من شرهم (كما ألهمهم الفرع من الحيوانات المفترسة ، والنفرة من الاغذية السامة) وأنض حفظ النظام المدنى الحقيقى - وهو الدين - لبذل الجهد ، وإفراغ الوسع ، في نحو آثارهم ، واستئصال ما يفرسون في تعاليمهم . لاجرم أن مزاج الانسان الكبير (يعنى عموم النوع) بما أودع الله فيه من الشعور الفطرى وهو أثر الحكمة الالهية العامة ، يمج هؤلاء الخونة ، ولايحتمل وجودهم في باطنه ، فيدفعهم كما تدفع الفضلات من المعدة ، أو الذنابة من المنخر ، أو النخامة من الصدر . لهذا تراهم وإن حلوا بعض منازل الأرض من زمان بعيد ، وأيدهم بعض النفوس الخبيثة من ذوى الشوكة لأغراض سافلة ، إلا أنهم لم يثبتوا ولم يتم لهم أمر . بل كان عارض السوء منهم كسحاب الصيف كلما ظهر تقشع . والنظام الحقيقى لنوع الانسان - وهو الدين - لم يزل قارآ راسخآ في جميع الأجيال ، وعلى أى الاحوال .

فلم تبق ريبة أن الدين هو السبب الفرد لسعادة الانسان . فلو قام الدين على قواعد الامر الالهى الحق ، ولم يخالطه شيء من أباطيل من يزعمونه ولا يعرفونه فلا ريب أنه يكون سبباً في السعادة التامة ، والنعيم الكامل ، ويذهب بمعتقديه في جواد الكمال الصورى والمعنوى ، ويصعد بهم الى ذروة الفضل الظاهرى والباطنى ويرفع أعلام المدنية لطلابها ، بل يفيض على المتمدينين من ديم الكمال العقلى والنفسى

ما يظفرهم بسعادة الدارين ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . وهذا آخر ما دعمت اليه الحاجة من المقابلة بين مذهب الدهريين وبين الدين على وجه عام ، وأثر كل من الأمرين في بنية الاجتماع الانساني والله أعلم .

دين الاسلام

اذا نظرنا فيما بين أيدينا من الأديان ؛ وجدنا دين الاسلام قد أقيم على أساس من الحكمة متين ، ورفع بناؤه على ركن لسعادة البشر ركين . ذلك أن عروج الأمم على معارج الحق الأعلى ، وتدرج الشعوب في مدارج العلم الأعلى ، وصعود الاجيال على مراقب الفضائل ، وإشراف طوائف الانسان على دقائق الحقائق وتبلهم للسعادة الحقيقية في الدارين ؛ كل ذلك مشروط بأمر لا يتم إلا بها .

الأمر التي تتم بها سعادة الأمم

الأول صفاء العقول من كدر الخرافات وصدء الوهام ، فان عقيدة وهمية لو تندس الى العقل لقامت حجبا كثيفا يحول بينه وبين حقيقة الواقع ، ويمنعه من كشف نفس الأمر . بل إن خرافة قد تقف بالعقل عن الحركة الفكرية ، وتدعوه بعد ذلك أن يحمل المثل على مثله ، فيسهل عليه قبول كل وهم ، وتصديق كل ظن وهذا مما يوجب بعده عن السكّال ، ويضرب له دون الحقائق ستارا لا يخرق . وفوق ذلك ما تجلبه الوهام على النفوس من الوحشة ، وقرب الدهشة ، والخوف مما لا يخيف ، والفرع مما لا يفزع . ترى الواهم المسكين يقضي حياته بين رجفة واضطراب يتطير من طيران الطيور ، وحركات البهائم ، ويضطرب من هبوب الرياح ، وينزعج لقصف الرعد ، والتماع البرق ، ويسلك به الوهم طرق الخيفة مما لا أثر له في الاخافة وهذا يسجل عليه الحرمان من أغلب أسباب السعادة . ثم يكون العوبة في أيدي المحتالين ، وصيداً في حبال الماكرين والدجالين .

وأول ركن بني عليه الدين الاسلامي صقل العقول بصقال التوحيد ، وتطهيرها من لوث الاوهام . فن أهم أصوله الاعتقاد بأن الله منفرد بتصريف الاكوان متوحد في خلق الفواعل والافعال ، وأن من الواجب طرح كل ظن في إنسان أو جماد ، علوياً كان أو سفلياً ، بأن له في الكون أثراً بنفع أو ضرر ، أو إعطاء أو منع ، أو إعزاز أو إذلال . ومن المفروض خلع كل عقيدة بأن الله جل شأنه ظهر أو يظهر بلباس البشر ، أو حيوان آخر ، لصلاح أو فساد . أو أن تلك الذات المقدسة نالت في بعض أطوارها شديد الآلام ، وأليم الاستقام ، لمصلحة أحد من الخلق فضلاً عما يحف بذلك من خرافات ، كل واحدة منها كافية في إعماء العقول وطمس نورها . وأغلب الأديان الموجودة لا يخلو من هذه الاوهام ، إن شئت فاضرب بنظرك الى ديانة برهما (في الهند) ودين بوذه (في الصين) ودين زرادشت (في بقايا الفارسيين) وكثير من أديان آخر .

الثاني

الأمر الثاني أن تكون نفوس الأمم مستقبلة وجهة الشرف ، طامحة الى بلوغ الغاية منه ، بأن يجد كل واحد من نفسه أنه لائق بأية مرتبة من مراتب الكمال الانساني ما عدا رتبة النبوة ، فانها بمعزل عن المطمع . وإنما يختص الله بها من شاء من عباده . ولا يذهب وهم أحد من الأمة الى أنه ناقص الفطرة ، منحط المنزلة فاقد الاستعداد لشيء من الكمالات . فاذا أخذت نفوس الناس حظها من هذه الصفة - أعني الاقبال على وجوه الشرف - تسابق كل مع الآخر في مجالات الفضائل وتمادت بهم المجاراة الى محاسن الاعمال ، فبلغ كل واحد ما أتى عليه سعيه من عاليات الأمور ، وشرائف المراتب . ولو أن قوما أساؤا الظن بأنفسهم ، واعتقدوا أن نصيبهم من الفطرة نقص الاستعداد ، وخسة المنزلة ، وأن لاسيول لهم الى الوقوف في مصاف غيرهم من طبقات الناس ، فلا ريب يسقط من همهم على مقدار ماظنوا

في أنفسهم . وبذلك يتولى النقص أعمالهم ، ويملك الخرد عقولهم ، فيحرمون معظم الكمالات البشرية ، وينقطعون دون كثير من مقامات الشرف الدنيوية ، وتكون جوارحهم في دائرة ضنكة يحيطها دون ماظنوا بأنفسهم .

إن دين الاسلام فتح أبواب الشرف في وجوه الانفس ، وكشف لها عن غايته وأثبت لكل نفس صريح الحق في أى فضيلة ، وأبنا كل ذى نطق بوفرة استعداده لاى منزل من منازل الكرامة ، وبحق امتياز الاجناس ، وتفاضل الاصناف وقرر المزايا البشرية على قاعدة الكمال العقلي والنفسى لاغير . فالناس إنما يتفاضلون بالعقل والفضيلة . وقد لانجد من الأديان ما يجمع أطراف هذه القاعدة ؛ فليدك دين (برهما) قسم الناس الى أربعة أقسام ؛ أحدها (برهمن) وثانيها (جهترى) وثالثها (ويش) ورابعها (شودر) وقرر لكل منزلة من كمال الفطرة لايجاوزها ، فأعلى منازل الكمال للبرهمن ، ويلها منزلة الجهترى ، والصنف الرابع أخسها وأدناها في جميع المزايا الانسانية وكان هذا التقسيم سبباً في انحطاط المتدينين بهذا الدين ، وقصور خطاهم عن الرقى في مدارج المدنية ، وانحسار أفكارهم دون الوصول الى ما يطلبه استعدادهم من المعارف الصحيحة ، والعلوم الحقة ، مع أنهم أقدم الامم وأسبقها نظراً في الكون وشؤونه . ومن الأديان ما يغلب اليوم على أمم من البشر ، وفي أصوله تفضيل شعب خاص على بقية الشعوب كشعب إسرائيل مثلاً ، وكتابه المعروف يخاطب أبناء ذلك الشعب بالكرامة والاجلال ، ويدكر غيرهم بالتحقير والاهانة نعم جاء رؤساء ذلك الدين وانسلوا من هذا الحكم ، وأغفل فيما بينهم حتى كأنه لم يكن من دينهم إلا ما سلوه من الكرامة عن غيرهم اتحلوه لانفسهم ، فارتفع امتياز الجنسية من بين أهل الدين ، وخلفه امتياز الصنفية . فسمت منزلة الرؤساء الروحانيين في قلوب الآخذين بدينهم ، حتى صار من عقائدهم أن صنفاً من الناس على منزلة القرب الى الله بحيث لايرد الله له طلبه ، ثم هو الحجاب بين الله وبين

سائر الاصناف ، لا يقبل الله من أحد صرفاً ولا عدلاً ، ولا يعتد له بإيمان ولا يغفر له ذنباً بتوبة ، حتى يتوسط له أهل طبقة الرئاسة . فعندهم أن كل نفس وإن بلغت من الكمال ما بلغت ليس فيها ما يؤهلها لعرض ذنوبها على أبواب العفو الإلهي ، ولا أن ترفع إليه طلب المغفرة لحطياتها ، بل لا بد في قبول ذلك منها أن يكون بواسطة الرئيس الديني ومن آمن بالله ، وصدق به ، وأخذ بأحكامه لا ينظر الله لإيمانه حتى ينظر إليه الرئيس الديني ، ويعتده إيماناً . واستندوا في هذه العقائد على نصوص من كتبهم تفيد أن ما يحلونه في الأرض يكون محلولاً في السماء وما يعقدونه في الأرض يعقد في السماء . وقد جلبت هذه العقيدة على أهل هذا الدين شقاء طويلاً ، وألقت بهم في جهالة عمياء ، وذلة خرساء ، زمنياً مديداً . حتى ظهر فيهم مجددون نقدوا ذلك العقد ، وخالفوا فيه ما اشتهر من نصوص الكتاب ، وقلدوا في ذلك الدين الإسلامي ، وسموا مذهبهم مذهب الإصلاح (١) ونشروه في ممالك متعددة ، فلم يلبث قومهم بعد ذلك أن تكشفت عنهم جهالات ، وحلت من أعناقهم ريق ، ونهضوا من حضيض ذلة إلى ذروة رفعة ، فطلقوا بعد ما صمتوا وعللوا بعد ما جهلوا ، وحكموا بعد ما حكموا ، وسادوا بعد ما سيدوا .

الثالث

الامر الثالث أن تكون عقائد الامة وهي أول رقم ينقش في ألواح نفوسها مبنية على البراهين القويمة ، والأدلة الصحيحة ، وأن تتحامي عقولهم مطالعة الظنون في عقائدها ، وتترفع عن الاكتفاء بتقليد الآباء فيها . فان معتقداً لاحت العقيدة في مخيلته بلا دليل ولا حجة قد لا يكون موقفاً ، فلا يكون مؤمناً . هذا والآخذ في

(١) وأول من قام بذلك هو لوثر الالماني وهو أساس المذهب البروتستانتى الكثير الانتشار الآن في أوروبا وأمريكا وخاصة في انكلترا .

عقائده بالظن ينصب عقله على متابعة الظنون ، والقانع بأن آباه كانوا على مثل عقيدته فأولى به أن يكون عليها يلتقى مع سابقه في مضارب الوهم ، وفجاج الظن وأولئك المتبعون للظن ، القانعون بالتقليد ، تقف بهم عقولهم عند ما تعودت إدراكه ، فلا يذهبون مذاهب الفكر ، ولا يسلكون طرائق النظر . وإذا استمر بهم ذلك تعشتم الغباوة بالتدرج ، ثم تكاثفت عليهم البلادة حتى تعطل عقولهم عن أداء وظائفها العقلية بالمرّة ، فيدركها العجز عن تمييز الخير من الشر ، فيحيط بهم الشقاء ، ويتعثر بهم البخت ، وبئس المآل ما آلهم .

فإن كان لابد من الاستثناس لما نقول بقول أوربي ؛ فهذا (كيزو) الفرنسي صاحب تاريخ (سيلفيزاسيون) أى تمدن الاوربي قال : إن من أشد الأسباب أثراً في سوق أوربا الى تمدنها ظهور طائفة في تلك البلاد قالت إن لنا حقاً في البحث عن أصول عقائدنا ، وطلب البرهان عليها - ولو كان ديننا هو الدين المسيحي - وعارضها كثير من رؤساء الدين ومنعوا ما ادعت من الحق ، محتجين عليها بأن بناء الدين على التقليد . فلما أخذت تلك الطائفة قوتها ، وانتشرت أفكارها ، فصلت عقول الاوربيين من علة الغباوة والبلادة ، ثم تحركت في مداراتها الفكرية ، وترددت في المجالات العلية ، وكدحت لاستحصال أسباب المدنية .

إن الدين الاسلامي يكاد يكون متفرداً من بين الأديان بتقريب المعتقدين بلا دليل ، وتوخيخ المتبعين للظنون ، وتبكيث الخاطبين في عشواء العمياء ، والقدرح في سيرتهم . هذا الدين يطالب المتدينين أن يأخذوا بالبرهان في أصول دينهم ، وكلما خاطب خاطب العقل ، وكلما حاكم حاكم الى العقل . تنطق نصوصه بأن السعادة من نتائج العقل والبصيرة ، وأن الشقاء والضلالة من لواحق الغفلة ، وإهمال العقل وانطفاء نور البصيرة . ويرفع أركان الحجّة لاصول من العقائد كل منها ينفع العامة .

ويفيد الخاصة ، وكلها جاء بحكم شرعي انبعه ببيان الغاية منه في الاغلب (راجع القرآن الشريف) .

وقلنا يوجد من الأديان ما يساويه أو يقاربه في هذه المزية ، وأظن غير المسلمين يعترفون لهذا الدين بهذه الخاصة الجليلة . ومن الأديان الظاهرة ما بنى أعظم أركانها على أصل الكثرة في الواحد ، أو الواحدة في الكثير ، وأن الواحد يكون أكثر ، والكثير يكون واحداً ، مما تنبذه بداهة العقل . فلما أنكر العقل أصل هذا أجمع أهل الدين على أنه فوق نظر العقل ، فلا ينال الفكر دركه لا بالسكنه ولا بالوجه ، ولا يهتدى لدليل عليه ، ولا مرشد اليهم . يريدون أنه لا بد من تنكب طريق العقل ونبد أحكامه حتى لا يمكن الايمان بهذا الاصل ، مع أن العقل مشرق الايمان . فمن تحول عنه فقد دابر الايمان ، وإن فرقا بين ما لا يصل العقل الى كنهه لكنه يعرفه بأثره ، وبين ما يحكم العقل باستحاله . فالأول معروف عند العقل يقر بوجوده ويقف دون سرادقات عزته ، أما الثاني ففطوح من نظره ساقط من اعتباره ، لا يتعلق به عقد من عقوده . فكيف يصدق به وهو قاطع بعدمه أما أصول دين برهما فمن البين لسكل ناظر فيها أن أغلبها ناظر لصريح العقل ، وذلك من جليات المسائل ، سواء اعترف أهل هذا الدين بثبوتها أو كادروا بانكارها .

الرابع

الرابع أن يكون في كل أمة طائفة يختص عملها بتعليم سائر الأمة ، لا يتون في تنوير عقولهم بالمعارف الحقة ، وتحليلتها بالعلوم الضافية ، ولا يألون جهداً في تبين طرق السعادة لهم ، والسلوك بهم في جوادها . ثم طائفة أخرى تقوم على النفوس تتولى تهذيبها وتثقيف أودها ، وتكشف عن الاوصاف الفاضلة وحدودها ، وتمثل للدارك فوائدها ومحاسن غاياتها ، وتفصح مستور الرذائل ، وتشق الحجاب عن حضارها ، وسوء متقلب المتدلسين بها ، وتشد في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

لا تلبسها عنهما غفلة ، ولا تردّها عنهما صعوبة .

وذلك أن بدهة العقل حاكمة بأن جل المعارف البشرية ، والعقائد الدينية مكتسبة فان لم يكن في الناس معلم قصرت العقول عن درك ما ينبغي لها دركه وانتقطعت دون الكفاية مما يلزم لسد ضرورات الحياة الأولى ، والاستعداد لما يكون في الأخرى وسأوى الانسان في معيشته سائر الحيوانات ، وحرّم سعادة الدارين ، وفارق هذه الدنيا على أعس الأحوال . فاذن من الواجب الديني إقامة معلم . والشهوات النفسية ليس لها من ذاتها حد تقف عنده ، ولا لرغائب النفس غاية تنقطع عندها ، فان فقد من بين الناس مقوم النفوس ، ومعدل الأخلاق طغى سلطان الشهوة ، واندفع الى الحيف والاحجاف . ومن طغت بهم شهواتهم سلبوا راحة غيرهم ، وهتكوا ستر أمّتهم ثم هم لا يفتنون من غائلة أعمالهم ، بل يحترقون بنيران شهواتهم . فمراقفون الدنيا على عناء ، ويقارقونها الى شقاء . فاذن لا بد من الأمر بالمعروف ، الناهي عن المنكر ، القائم بتقويم الأخلاق . وإن من أهم الأركان الدينية في الديانة الاسلامية هاتين الفريضتين (نصب المعلم ليؤدي عمل التعليم ، وإقامة المؤدب الأمر بالمعروف الناهي عن المنكر) راجع القرآن الشريف (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وغير هذه الآية آيات كثيرة (فلولا نفر من كل فرقة منكم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وسواها آيات وقد برز دين الاسلام على غالب الأديان في العناية بهذين الأمرين .

وحيث كانت أركان الدين الاسلامي بالغة حد الكثرة ، فلو أخذت في بيان ما يفيد كل ركن منها في تقويم المدينة ، وتشديد بناء النظام الانساني ، وإقامة الدليل على أن كل أصل من أصول هذا الدين عنصر حياة السعادة الانسانية لخرجت عن القصد من هذه الرسالة .

ولهذا أخذت على نفسي أن أضع رسالة تختص بذلك الغرض ، أبين فيها أن
 المدنية الفاضلة التي مات الحكما على حسرة من فقدوها ؛ لا تختط في العالم الانساني
 إلا بالدين الاسلامي .

فان قال قائل : إن كانت الديانة الاسلامية على ما بينت فما بال المسلمين على
 ما نرى من الحال السيئة ، والشأن المحزن ! ! اجوابه إن المسلمين كانوا كما كانوا
 وبلغوا بدينهم ما بلغوا ، والعالم يشهد بفضلهم . واكتفى الآن من القول بهذا
 النص الشريف (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

وهذا آخر ما أردت بيانه في هذه الرسالة ينتهي به ما أجملته في كشف سوات
 النشريين (الدهريين) ومضار طريقتهم في المدنية ، والهيئة الاجتماعية الانسانية
 وتوضيح الأدلة على منفعة الاديان ولزومها لقيام النظام البشري ، خصوصاً دين
 الاسلام . والى الله المنتهى ، ورضاء المبتغى ، والصلاة والسلام على خاتم رسله
 وآله وصحبه وسلم .

(تم بعون الله)

— فهرس —

﴿ كتاب الرد على الدهريين للسيد جمال الدين الأفغاني ﴾

صحيفة	صحيفة
٥٨ مورمون	٧ تمهيد لتقديم المؤلف
٥٩ دهريوا الشريين	٩ ترجمة حياة المؤلف
٦٠ مضار إنكار الألوهية	١٦ صفاته ومناقبه
٦١ الأمور التي يمكن بها إلزام النفس حدود العدل	٢٠ فاتحة الرسالة
٠٠ الأمر الأول المدافعة الشخصية	٢٩ مظاهر الماديين ومقاصدهم
٠٠ الأمر الثاني شرف النفس	٣٠ ما أفاد الدين من العقائد والخصال
٦٥ الأمر الثالث الحكومة	٣٤ الخصال الثلاثة
٦٦ الرابع الاعتقاد بالألوهية	٣٩ تفصيل غايات النيشريين
٦٩ دين الإسلام	٤٢ مسالك النيشريين في طلب غاياتهم
٠٠ الأمور التي تتم بها سعادة الأمم	٤٣ ضرب مذاهب النيشريين
٠٠ الأمر الأول صفاء العقول	٤٥ الأمم التي خنعت للذل وضرعت للضميم
٧٠ الأمر الثاني استقبال وجهة الشرف	٥٠ الأمة الإسلامية
٧٢ الأمر الثالث بناء عقائد الأمة	٥٤ الشعب الفرنسي
٧٤ الأمر الرابع معلمين الأمة	٥٦ الأمة العثمانية
	٥٧ الاجتماعيون . العدميون
	الاشتراكيون

﴿ تم الفهرس والحمد لله أولاً وآخراً ﴾

السؤال السالفية

في
احياء سنة خير البرية

صلى الله تعالى عليه وسلم

لامام الاصولية وهاوئ المحمديه وقدره المجهديه
شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني

١٩٠ ص -- مقاس كبير ورق جيد ناعم ٥ ثمنها ١٠ قروش صاغ

إرشاد السائل الى دلائل المسائل

بمجموعة فيها شرح الصدور في تحريم رفع القبور

ورفع الرية عن ما يجوز وما لا يجوز من الغيبة

والدواء العاجل في دفع العدو الصائل . . الخ -- الجميع تأليف الشيخ محمد بن علي

الشوكاني ٥٤ ص -- مقاس هذا ورق جيد ناعم ٥ ثمنهم ٣ قروش صاغ

البلاغة النبوية

في الأحاديث والمواعظ والحكم المحمدية

ويليه عشرة أحاديث في الاخلاق والعادات الفضيلة ومكارم الاخلاق -- الخ

٨٠ ص ٥ مقاس كبير ورق عال ٥ ثمنها ٥ قروش صاغ

استحالة المعية بالذات

بيان مذهب

السلف والخلف في التشابه والصفات

مبين فيها معاني الآيات والاحاديث المتشابهة التي زاغت فيها عقائد كثير من الناس بأوضح بيان وأجلى أسلوب فتكشفت استحالة اتصاف الله تعالى بشيء من صفات الحوادث كأن يكون سبحانه وتعالى جسماً أو جوهرًا أو عرضاً أو حالاً في جهة من الجهات الست أو جالساً على العرش أو سواه ، وينزل السماء الدنيا بذاته الى غير ذلك مما هو مذكور في المتشابهات مؤيداً بنصوص جميع أئمة الدين المجتهدين والمحدثين والمفسرين والمتكلمين والفقهاء ومبيناً فيها حكمهم على من اعتقد خلاف ذلك تأليف (المرحوم الشيخ محمد الحضرة الشنقيطي) . راجعها وصححها أخيه الشيخ محمد حبيب الله المدرس بالكلية الاسلامية بالازهر * ٤١٦ صحيفة مقاس وسط وثمنها ١٢ قرش ورق أبيض جيد . ورق أصفر نباتي ١٠ قروش صاغ

مسند الامام علي بن موسى الرضا

يحتوي على جملة أبواب في الاحاديث الصحيحة البعض منها في العلم ، والآذان والصلوات ، والجنائز ، وأهل البيت وفضلهم عموماً ، وحسن الخلق والاطعمة والفواكه ، والادهان ، وبر الوالدين ، وصلة الرحم ، والتحذير من الغش ، والغيبة والنميمة ، والجهاد ، والغزو ، وغير ذلك - الخ - ٧٦ ص ورق أبيض جيد عال ثمنه قرشان ونصف

بحر الكلام في علم التوحيد والعقائد من الكتاب والسنة
للإمام النسفي - ١٠٤ ص مقاس وسط ورق نباتي أصفر * ثمنه ٣ قروش صاغ

مِصْبَاحُ الْأَسْرَارِ
 فِي
 الْكَلَامِ عَلَى مَشْكَاتِ الْأَنْوَارِ
 فِي
 سِيْرَةِ النَّبِيِّ الْمَخْتَارِ
 صَلَّى تَبْعِيْلِيَّةً وَسَلِّمَ

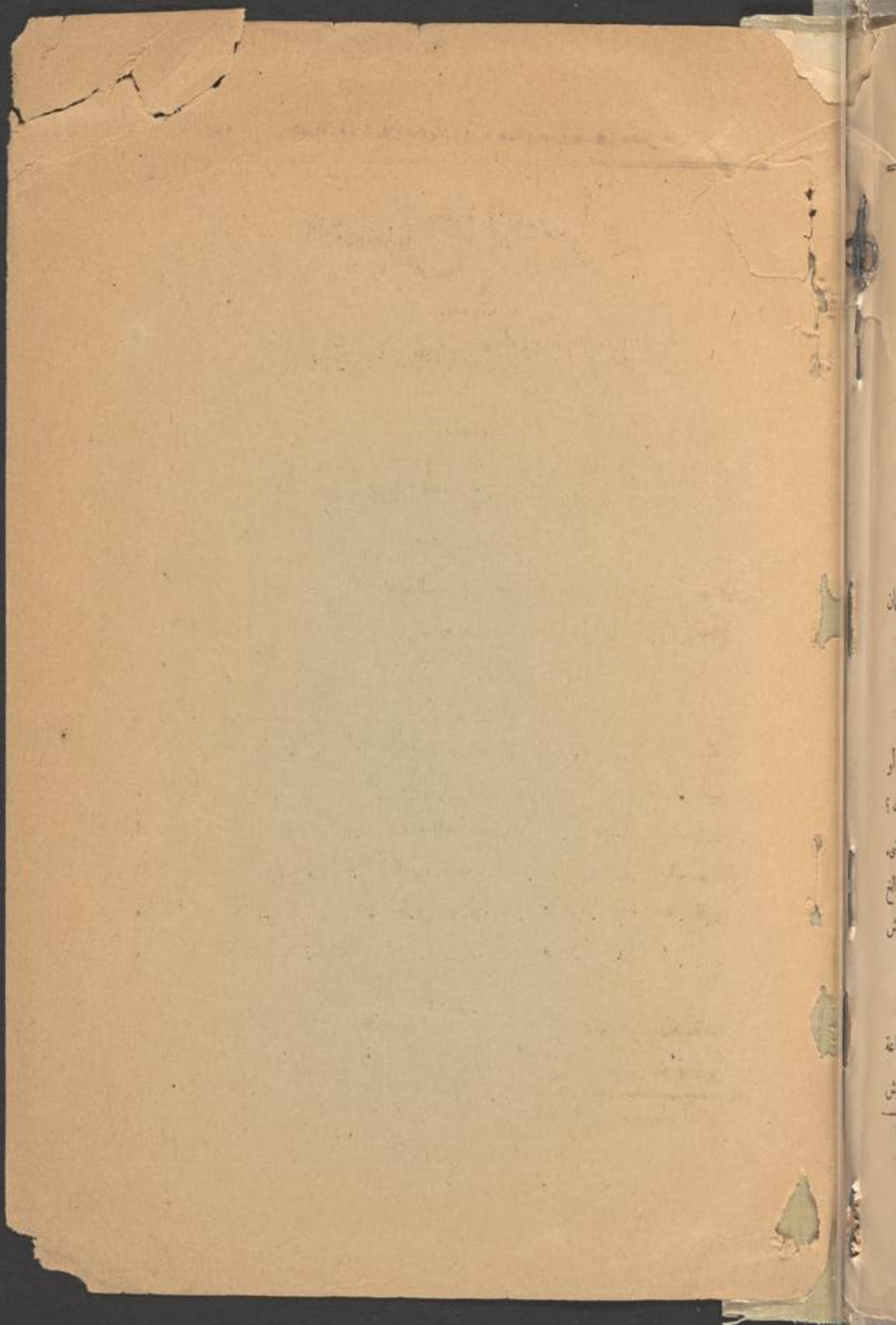
المتن في أعلا الصحيفة تأليف السيد عبد الله المحجوب وشرحها السيد محمد عثمان الميرغني ٢١٦ ص -- من المقاس الكبير ورق جيد عال * ثمنه ١٠ قروش صاغ

سر الروح

والبحت بالآيات والاحاديث في حقيقة الروح والنفس وهل هي محدثة أو قديمة وخلقها على الجسد أم لا؟ وهل هي تموت مع البدن؟ وهل تعاد الى الميت؟ ومتى تعاد؟ ومتى تزار القبور؟ وفننة القبر بالسؤال وهل تنتفع ارواح الموتى بشئ من سعي الاحياء؟ - وعذاب القبر ونعيمه والاسباب المنجية من العذاب . الخ تأليف الامام الحافظ أبي بكر البقاعي - ٢٤٥ ص مقاس وسط * ثمنه ٥ قروش

مصارع الاعيان

مشاهد رائعة ومجموعة تاريخية في سير أعظم الرجال وأقوالهم الحكيمة ساعة احتضارهم - بقلم كامل كيلاني - ١٢٨ ص مقاس هذا ورق جيد * ثمنه ٧ قروش
 أطلبوا فهرست المكتبة (القائمة) فيها أسماء الكتب وأسماء مؤلفيها وأثمانها
 ترسل مجاناً لكل طالب



Date Due

اطلبوا من المكتبة			
من العبادات والفوائد الطيبة			
اليوم من تلك الأدواء للقرآنية ورق جيد			
آراء وأهله وعلمه			
رسوله صلى الله عليه وسلم			

Demco 38-297

هدايته . وأثره وإعجازه وبلاغته . ولماذا أنزل ؟ وخواصه وبيان ما يلزم من الدعاء عند ختامه . وتجويده وأسراره وحكمته . وكونه هداية عامة للجميع : وسلامتهم منوطة بقراءته . واتباعه . والعمل بما فيه . والتمسك به وبأحكامه . إلى غير ذلك مما يتعلق بكيفية جمعه . وما له من الأحكام والآداب . وتفسيره . وتأويله . والمفسرين والمؤولين . والقراءات . والقارئين . الخ ٢٠٨ صفحة تأليف السيد كمال الدين الأدهمي هـ ثمنه ٨ قروش

مقاصد الفلاسفة

للغزالي ٣ أقسام : الأول - فن المنطق : الثاني - الحكمة الإلهية : الثالث الحكمة الطبيعية : مطبوع أحسن طبع وأجمل حرف وأصقل ورق ٣٠٠ صفحة تقريبا مقاس الكامل هـ ثمنه ١٠ قروش صاغ - أجرة البوستة ٣

اطلبوا منا الفهرس الجامع لاسماء الكتب من جميع العلوم يرسل « هدية »

اطلبوا من المكتبة المحمودية التجارية . بدان الازهر صندوق البريد رقم (٥٠٥) بمصر

المنحة المحمدية في بيان العقائد السلفية

من العبادات . والاذكار . والدعوات والتسايع . والتهايل . والعناقل .
والفوائد الشرعية والبدعية . الخ - للشيخ محمد بن عبد السلام خضر
الطبعة الثانية في جزئين : هذا الكتاب يبين ما عليه عامة المسلمين
اليوم من الخرافات والبدع التي ألصقت بالدين وفيه علاج لكل
تلك الأدواء وقد استدل المؤلف على كل ما ذكر في الكتاب بالآيات
للقرآنية والأحاديث الصحيحة يحوى ٣٢٠ صفحة مقاس هذا
ورق جيد ثمنه ١٠ قروش صاغ - أجرة البوستة ٢ -

تحبيب المسلمين بكلام رب العالمين

آراء وأقوال كبار المسلمين في القرآن من قديم وحديث . وبيان سمو
منزله . وعلو شأنه . وتعريفه . وإظهار عظمته وقدره . وما له عند الله وعند
رسوله صلى الله عليه وسلم من ذلك . وفوائده . وجمعه . وأقسامه . ووصف
هدايته . وأثره وإعجازه . وبلاغته . ولماذا أنزل ؟ وخواصه وبيان ما يلزم
من الدعاء عند ختامه . وتجويده وأسراره وحكمته . وكونه هداية عامة
للجميع : وسلامتهم منوطة بقراءته . واتباعه . والعمل بما فيه . والتمسك
به وبأحكامه . إلى غير ذلك مما يتعلق بكيفية جمعه . وما له من الأحكام
والآداب . وتفسيره . وتأويله . والمفسرين والمؤولين . والقراءات .
والقارئين .. الخ ٢٠٨ صفحة تأليف السيد جمال الدين الأدهمي . ثمنه ٨ قروش

مقاصد الفلاسفة

للغزالي ٣ أقسام : الأول - فن المنطق : الثاني - الحكمة الإلهية : الثالث
الحكمة الطبيعية : مطبوع أحسن طبع وأجمل حرف وأصقل ورق ٣٠٠ صفحة
تقريبا مقاس الكامل . ثمنه ١٠ قروش صاغ - أجرة البوستة ٣

اطلبوا منا القهرس الجامع لاسماء الكتب من جميع العلوم يرسل « هدية »



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

NYU - BOBST



31142 01682 1764

B825 .A3212 1935 al-Radd ala al-dahriyin